أحمد إفزارن

غداً

مجموعة قصص
من الخيال العلمي

١٢٥٥

أحمد إفزارن

غداً

مجموعة قصص
من الخيال العلمي

الطبعة الأولى
ماي 1985

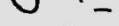

طبع على نفقة المؤلف.
جميع الحقوق محفوظة له.

[illegible] — طنجة — المغرب.

الرسوم الداخلية للفنان العربي الصباغ.
الغلاف والخطوط بريشة رعد عبد الرحمن عبود.

الإهداء :

إلى كل طفل صغير
يحمل أفكاراً كبيرة
في مجتمع المسؤولية
والإيمان بالمجتمع البشري
إلى شاطئ التفاهم
والمحبة
والسلام

تقديم

في مجال العلوم الانسانية يتخذ الصراع بين «العلم» و «الأدب» طابع التكامل والتوافق على الرغم من سيطرة التكنولوجيا على أدوات التطور حتى في المجال اللغوي لدرجة أن «الكمبيوتر» أضحى النائب الناجح عن الانسان في حل كثير من مشاكل الحياة بكل مظاهرها وتعقيداتها التقنية والفنية.

ولعل القصة هي الجنس الأصلح أكثر من غيره في تقديم شريحة الحياة عبر وجهيها الواقعي والخيالي. ومظهريها الفني والعلمي. نظرا لما تمتاز به من خصائص وفعالية في حوارها وصراع أبطالها وتعقيد أحداثها وتطور مفاجآتها ودقة رصد أساليبها لكل معاناة الحدث في شريط حياة القصة.

لكن «الأدب» و «العلم» ظلا على الرغم من التكامل الواضح متباعدين لما بين موضوعيهما ووسيلتيهما من مفارقة في الطبيعة المعرفية والوظيفية والتعبيرية. وهنا يتدخل «الخيال» في الفن والعلم على السواء ليحكم الجسر بين العالمين بوساطة ما

تعانق فيه العلم والأدب وغرف بسببه كل منهما من معين الآخر وهو «قصص الخيال العلمي» الذي يتخذ طريقة جديدة في مجال «القص» تأخذ صورها ومادتها من العلم في واقعه وإمكانه وخياله. ومن الأدب في أدواته القصصية المعروفة والمتطورة. ولتطلع الانسان لكل مدهش وغريب من عالمي الفن والعلم. فقد أصبحت القصة أو الأقصوصة التي تعتمد الخيال العلمي مادة ووسيلة لأداء دورها في التبليغ واثارة الدهشة والاستغراب. موضوعا وأداة مسيطرة على الساحة خصوصا في الغرب حيث التطور العلمي والتكنولوجي والابداعي أقوى وأمتن. وهكذا فالقصة الخيالية العلمية خير جسر بين العلم والفن في نقلنا إلى عالم المفاجآت والمستجدات العلمية عبر بساط من الأدب الناجح .

ولعل هذا الجانب هو الذي دفع إليه قصصُ الأطفال. ولكن ربطه بالحقائق العلمية الصحيحة جعل قصص الخيال العلمي من أهم اهتمامات الصغار والكبار. الأدباء والعلماء على السواء . كما نلمس ذلك بوضوح في التجارب العالمية المعروفة التي شاهدنا وقرأنا واستمعنا إلى كثير من نماذجها بصورة ناطقة أو مكتوبة نابضة. ثم في المحاولات العربية المعاصرة كذلك .

في هذه التجارب الأجنبية الغزيرة والعربية النادرة تحتل مجموعة الكاتب المبدع أحمد إفزارن «غدا». مكانتها الرائدة مع

قمم قصص الخيال العلمي، نظرا لما يمتاز به قلم هذا المؤلف الشاب من خصائص علمية وفنية، لغوية واصطلاحية، واعتبارا لبنيتها القصصية المتميزة .

تتكون هذه المجموعة من :

مدخل بقلم المؤلف يحدد فيه مشروعه الكبير في كتابة قصص الخيال العلمي ..

ثم المجموعة القصصية ..

وأخيرا ملحق حدد فيه بعض المصطلحات الواردة في المجموعة مع مقابلها الأجنبي، كما وضح فيه بعض الحقائق العلمية التي اعتمدها في بناء عوالم المجموعة .

بهذا يفتح أحمد إفزارن عالمه القصصي/العلمي/ الخيالي الرحب واثقا من رصيده العلمي المتجدد باللغتين العربية والفرنسية، ثم من رصيده الفني أداة وأسلوبا وتقنية، ثم من إصراره على مواصلة السير بثبات في درب هذا المشروع الناجح والمطلوب، دوليا وعربيا .

وأنا إذ أشد على يدي أحمد بهذه الحرارة فلما لمسته في شخصيته من مثابرة على متابعة المستجدات في حقول العلم والأدب والقصة، وإصراره — وهو الواثق من أسلوبه ومعرفته — على أن يصل بالمشروع إلى أقصى حدوده. وكذلك لما لمسته في هذه المجموعة التي تتبعت قراءتها كلمة كلمة متذوقا ومحللا

وناقدا بصرامة. فما وجدت فيها وفي مبدعها إلا حقيقة واحدة هي أن هذه الرحلة الفنية والعلمية تدخل بصاحبها عالم الشهرة من بابها الواسع. وكأنه «كولن ولسون» العربي يبعث من جديد ليحطم التوابت والقيود التي تؤخر ميلاد المبدعين إلى حين، ويطلق متمكنا واثقا من نفسه ومن رصيده وتصوره لمشروعه، ثم من تمكنه من الأدوات التي طبقها بنجاح في مجموعة «غدا».

فهنيئا للمكتبة العربية عموما والمغربية خصوصا بهذا الفتح الجديد.

وهنيئا للطفل العربي بكاتب عالم يعرف قيمة العلم ثقافة ومتابعة.. وقيمة الكلمة وسيلة وبناء وأسلوبا كما جسدتها مجموعة «غدا» للمبدع أحمد إفزارن.

«غدا» يكتبها أحمد للغد بكل تطلعاتنا إليه وتلذذنا بمفاجآته ورغبتنا في أن يسعى أبناؤنا العلماء والأدباء على هدي «غدا» لتحقيق هذا الغد المشرق الباسم.

علال الغازي
أستاذ الأدب والنقد
كلية الاداب - الرباط

17 أبريل 1985

مدخل

هذه المجموعة تعتمد معطيات علمية، لعرض تصورات مستقبلية، في قالب قصصي.. هدفي ليس الأقصوصة في حد ذاتها، بل تقريب طموحات الثقافة العلمية إلى القاريء، عبر لغة القص.. سيما وأن المكتبة العربية تفتقر إلى هذا اللون من الأدب، الأدب العلمي، في عصر يريد من العلم والأدب أن يتعانقا ويتعاونا في انسجام ينمي الفكر ويخدم المجتمع البشري..

ولقد حفزني على خوض هذه المغامرة إعراض الأقلام العربية، مع استثناء أسماء معدودة، عما تشهده علوم العصر من تطور مذهل، يواكبه أسلوب حياتي، يستمد مادته وصورته من مستجدات التطور المعاصر..

لن يستثني أحد من الانجراف العلمي، الذي

سيزحف أكثر على إنسان الغد، متحديا كل الحدود، غير عابيء بما يحدثه من ارتجاج في القيم والتقاليد. للشمال والجنوب، والشرق والغرب.

الغد آت لا محالة..

التاريخ يتحرك.. وقطاره ينقلنا ونحن معصوبو الأعين إلى عصر سيكون واقعه أغرب من الخيال.

وسوف يصيح فجأة : «هيا.. انظروا».. ترانا كيف سنتحمل الصدمة؟

من المؤسف أن يتغيب المثقف العربي عن المهرجان الذي تشهده علوم العصر.. وعن حالة المخاض التي يعانيها في الظرف الراهن..

فكأن مسألة أطفال الأنابيب لا تهم سوى الغرب.

وإمكانية استنبات (!) الانسان، على غرار التجارب الناجحة في عالم الحيوان، أمر لا يخطر على بال.. والقلوب الصناعية.. وربما الأدمغة الصناعية.. موضوع اهتمامات بشر من نمط آخر..

قليلة هي الأقلام العربية المفتونة بالحركة العلمية. رغم أن العلوم دخلت حياتنا.. وربما نادرة

هي العقول التي تدرك بأن العالم العربي، وهو من قامت العلوم على يديه، محكوم عليه بالتبعية، ما لم يتدارك الموقف، ويستعد أدمغته المهاجرة، ويحرك الطاقات الفكرية الشابة لتشكل طليعة من يطرقون أبواب المستحيل.. بحثا عن الممكن..

هذا واجب حضاري.. وإنساني..

حضاري : لأن اليقظة حافزة للاستعداد من أجل توقع هزة قوية يعدها العلم مفاجأة للبعيدين عن المختبرات.. والأقمار.. والأبراج..

وإنساني : لأن العلم مطالب بتصحيح مساره.. وحتى لا يفعل ذلك متأخرا، بعدما يكون الشيطان التكنولوجي الرهيب قد أغرق العالم في ويلات نووية، لابد من إسراع رجال العلم، من كل الملل والنحل، ومنهم الانسان العربي، إلى المساهمة في رحلة الانقاذ المقبلة، والمشاركة الفعالة في تقرير مصير عالم الغد، وهو ما يصنع تحت المجاهر وأمام التلسكوبات، وأعين الأدمغة الالية..

هذه المجموعة من قصص الخيال العلمي دعوة

مخصلة إلى التفكير في المساهمة الحضارية لبناء عالم الغد...

فعندما يحركنا طموح مستقبلي، لابد أن نتحمل أعباء الحاضر، سعداء بوجودنا، إذ يكون لحياتنا معنى..

أملي أن تقرأ أقصوصة واحدة.. ثم تسرح بخيالك بعيدا.. ترسم ملامح هذا العالم المستقبلي الذي عليك أن تدخله، أو يدخله بنوك وأحفادك، متسلحين بنور المعرفة.

إن مجرد التفكير في عالم الغد مساهمة منك ولو فكرا في بنائه.. والبناء عندما ينطلق يفيد اليوم قبل الغد.. لانه حركة.. عمل.. تفاؤل.. تضامن.. محبة.

وأريد بهذه المجموعة المتواضعة أن يسجل على إنسان الجنوب أنه أيضا يفكر في عالم الغد.. عالم يريده ليس صورة من الحاضر المشحون بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية، ومن كل الأصناف، بل عادلا في أنضج صورة العدل.. ورديا يعمه الرخاء والسلام مع التضامن المخلص بين بني البشر..

تحية لكل فكر جنوبي مولع بالتكنولوجيا

البناءة.. ينفعل معها.. فتحرضه على المزيد من التمعن.. لاضافة الجديد إلى سجل الابداعات..

وتحية لكل فكر عربي يعشق العلم.. ويتطلع للأفيد.. متحمسا لاتقان التعامل مع الأدوات العلمية سعيا وراء خلق حضارة متقدمة تكون في مستوى عالم الغد..

لماذا غدا؟

لأن غدا يوم جديد.. وإن غدا لناظره قريب..

والغد ثمرة أخرى لمجهود بشري يتواصل منذ فجر التاريخ..

ورمز لتطلعات الانسان من أجل قهر المستحيل وتسلق درجات الكمال..

ولأن في الغد الكثير من أحلام اليوم بشكل واقع ملموس، يجسد طرحا حضاريا لم يسبق له مثيل، مع اقتحام المعرفة لشتى المجالات، واستخدام الأدمغة الآلية بكافة الحقول.. وفي ظل هذا التطور تتقلص المسافات، وتزول الحدود بين ما تتداوله الشعوب في حياتها اليومية كالأطعمة والألبسة وغيرها، وتهب نسمات الوحدة على الأذواق، ومنها على ينابيع الفكر والسلوك..

غدا تتواجد اهتمامات من نمط آخر..

يطمح الانسان إلى إخضاع النيازك، وركوب المذنبات.. ويطرق أبواب المستحيل بحثا عما قد يكون أسرع من الضوء (2) وموجة الأثير.. ويشرع في مغامرات كونية لاكتشاف حضارات، انطلاقا من مستوطنات فضائية سابحة، أو مقامة بكواكب وتوابع..

ومع هذه التطلعات الجريئة، لا تتوقف أوراش العمل بأعماق المحيطات، ولا الأبحاث الهادفة لتوفير الغذاء، وتيسير مكافحة المرض والشيخوخة.. فتصير البحار زاخرة بالمخيمات السكنية والمدن العلمية.. وتتحول الصحارى إلى ارض خضراء.. ويرتفع مستوى التكوين العام بفضل وسائل إشاعة الثقافة..

وعندها، وأكثر من أي وقت مضى، يدرك الانسان بأن ما يعرف لا يوازي بالفعل قطرة في بحر ما يجهل.. فرغم أن العلوم تكتشف وتكتشف، غير آبهة بالهزة التي تحدثها في الأعراف والتقاليد والأفكار، فان مع كل خطوة يتأكد للانسان بأن الطريق ما يزال طويلا.. وشائكا.. ويكتنفه الكثير من الغموض..

الكون أعظم مما نتصور..

والعوز يحيط بنا من كل صوب، مادة وفكرا وروحا..

فمهما كسبنا، يلاحقنا الفقر، ونحس بأن الثروة الحقيقية خارج قبضتنا..

ومهما تعلمنا وأبدعنا، يطاردنا الجهل.. ونلمسه أقرب إلينا من المعرفة..

ومهما تعبدنا، ندرك بأن الحقيقة شيء آخر، أجل وأكبر..

فما أضعف الانسان أمام تحديات الكون..

وما أعظم المجهول..

آمنت بالله.. فوق التحديات والمجهول.. وفوق الضعف والقوة.. وبالعلم سلاحا حاسما نسعى به مؤمنين.. لتحقيق عالم الغد.

أحمد إفزارن

ضيوف على الأرض

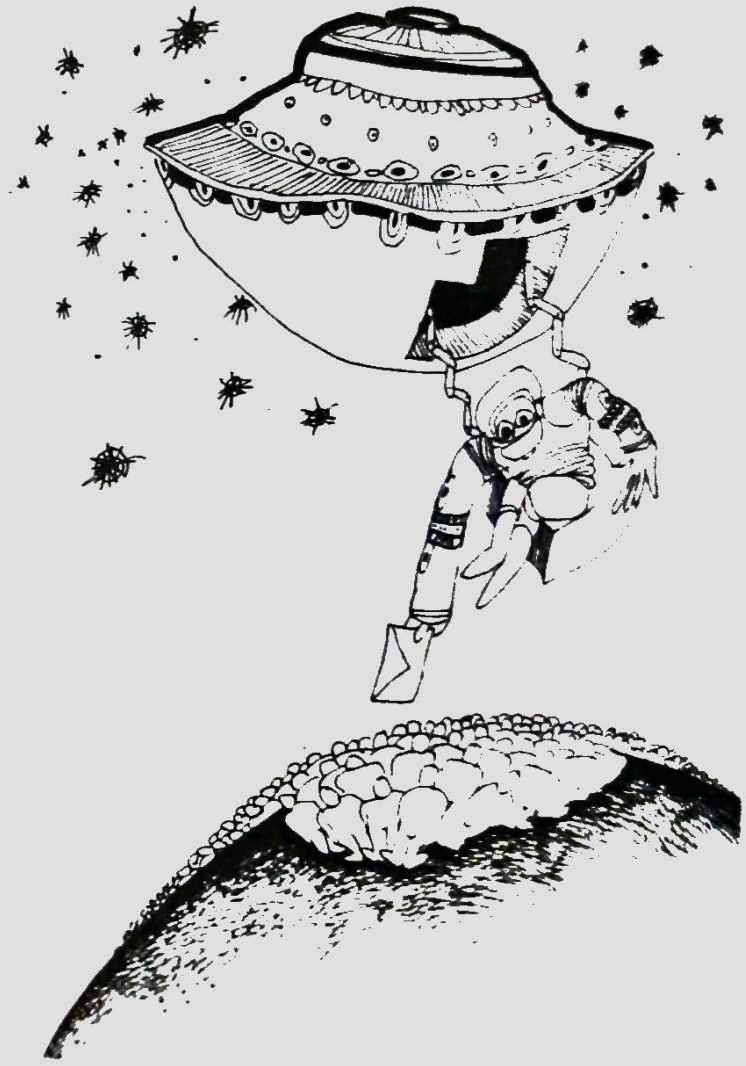

قفز من مكانه.. انتصب واقفا ينظر في كل الاتجاهات.. يا إلهي ماذا حدث ؟ الضوء الأحمر على كل الشاشات.. جرس الخطر يقرع بحدة.. حتى الدماغ الآلي وعلى غير عادته لا ينبس بكلمة.. مرت اللحظات بطيئة.. كاد يفقد خلالها عقله.. وما زال على حيرته، حتى فاجأه صوت غريب : «السلام على أهل الأرض».. زاد فزعه.. وها هو الكمبيوتر يخرج عن صمته : «نحن في قبضة هؤلاء».. وعاد الصوت الواضح ليصحح : بل نحن ضيوفكم.. جئنا نتعرف على سكان الأرض.. أحبابنا في الذكاء.. رفاقنا في صناعة الحضارة (3)..

لم يدر بم يجيب.. قال الكمبيوتر : إنهم ذوو تجهيزات قادرة على شل كل التكنولوجيا التي بحوزتنا بمجرد الرغبة في ذلك.. واستطرد صاحب الصوت

العربي : نحن حيران في الحضارة.. فكوكبنا لا يبعد عنكم سوى بحوالي عشر سنوات ضوئية (2)..

ـ عفوا يا سيدي .. نحن هنا في مهمة فضائية مؤقتة .. نقوم بدورية حول المدار الأرضي .. ونحن ...

ـ عجيب.. إنكم تشبهوننا الى حد بعيد.. فلدينا أيضا أقمار صناعية تدور في غلافنا الجوي ضمن مهمات متنوعة..

ـ استسمحكم سيدي.. فلسنا مؤهلين لتعميق الحوار معكم.. وها هي محطتنا الأرضية راغبة في محادثتكم.

ضغط على الزر.. وبدأ الحوار بين الأرض والزوار :

الأرض : ابقوا حيث أنتم خارج الغلاف الجوي (3).. وسوف نرسل بعثة لتقصي حقيقتكم.. وبعدها نتخذ القرار المناسب.

الزوار : نحن ما جئنا بعقلية عدوانية.. فلقد قبرنا العداء منذ آلاف السنين.. بعد أن نضجت حضارتنا.. ومعها تطور ادراكنا للأمور.. وصرنا حكماء.. قادرين على تطويق الرغبة الشريرة.. لقد تغلبنا على أنفسنا.. وها قد جئنا لمعانقتكم.. أنتم أشقاؤنا في العقل.. في الطموح من أجل سيادة الخير..

ـ مبادئكم مثالية ولا شك..

ـ أجل.. ولقد وعينا ذلك.. بفضل التجارب التي مررنا بها عبر طفولة كوكبية معقدة.. فتعلمنا بأن الحركة البانية أحسن من الهدامة.. واستخلصنا أن التاريخ بريء.. لأن الانسان بريء.. وكلنا أبرياء.. إذ في كل منا بذرة خير واحدة على الأقل.. فتسامحنا.. وطوينا الماضي الشرس.. وصار هدفنا أن ننظر إلى فوق.. إلى السماء.. ففيها كل ما نجهل.. منها نستقي ما ينور الفكر.. ويساعد الأدوات الحضارية على تعميق معرفتنا بالكون.. وعبر السماء نتعرف أكثر على من نكون.. وأين نحن ؟ ولماذا ؟ لقد تعلمنا أن السماء حاضنة أحلامنا الجميلة.. السماء مستقبل الانسان..

ـ عجيب أمركم معشر الزوار.. إن تصوراتكم تشبه ما قامت عليه فلسفاتنا..

ـ يسعدنا أن نسمع منكم ذلك.. ولا شك أنكم مثلنا تتطلعون إلى السماء..وقد تكونون أيضا مدركين بأنه لا نهاية للسماء.. كما لا نهاية للكمال.. والمعرفة.. وأن ينبوع السماء لا ينضب..

ـ إننا مقتنعون بذلك..

ـ أما نحن فعندما نذكر السماء.. بنجومها وكواكبها

وغازاتها.. فتساءل أيضا عن صاحب السماء..

- إنك تتحدث في الدين.

- أتحدث عن القلوب وهي تحس بجلال مبدع الكون.. وتتنور بجماله.. إن قلوبنا دعائم السلام.. دعائم المحبة.. قلوبنا حبلى بمقومات الكون.. بفضلها نتواضع.. ونتطور.. فلا نهاية للاكتشافات.. ولا نهاية للفضيلة..

- أنتم مثلنا تماما يا متحدث..

- كلنا من شجرة واحدة.. وكواكبنا تنتمي لخريطة كونية واحدة.. فسبحان مبدع كل شيء..

- يا إنسان ذلك الكوكب.. إن ممثلي الأمم المتحدة الأرضية قد تابعوا معنا هذا الحوار الشيق معكم.. وسوف يقررون بعد لحظات ما إذا كان سيسمح لكم بزيارة الأرض. فهل بحوزتكم ما تصرحون به ؟

- معنا تجهيزات علمية ومؤونة الرحلة..

- كم عددكم ؟

- عشرة..

- وما هي المدة التي ترغبون قضاءها في ضيافة الأرض ؟

- ما تسمحون لنا به.

- وماذا ستفعلون على الأرض ؟

- نريد أن نرى هيأة البشر.. وما عليه بحاركم.. وكيف تعيشون؟ وما هي مشاريعكم ؟

- بشرى لكم ياجماعة.. أنتم ضيوف على الأرض.. انزلوا بسلام.. ويا مرحبا.

نزل الرواد.. أهؤلاء حقا سكان الكوكب البعيد ؟ إنهم مثلنا تماما ؟ يمشون على رجلين ؟ منتصبي القامة ؟ وجوههم بشرية ؟

أحاطت بهم قوات الأمن.. وتم اقتيادهم إلى مكان مجهول.. وفي اليوم التالي نشر بيان عن الأمم المتحدة يقول : إن جماعة من الناس تنكرت في هيأة أشخاص من كوكب آخر.. لقد غالط هؤلاء وأفزعوا كل المجتمع البشري.. وسوف يقدمون للمحاكمة.

وبعد أسبوع على هذا الحادث.. أعلنت حالة طوارىء بكل الأقمار الصناعية السابحة بالمدار الأرضي : إن مركبات من نوع غريب توجه إنذارا لسكان الأرض، داعية لاطلاق سراح طليعتها المعتقلة..

واحتد الجدل على أوسع نطاق.. وعقدت مؤتمرات عاجلة بمشاركة كل السلطات الاقليمية.. وعندما تسلم

الغرباء رفاقهم.. وجهوا رسالة يقولون فيها : سنعود لزيارتكم.. ولكن.. بعد أن تكونوا أكثر نضجا..

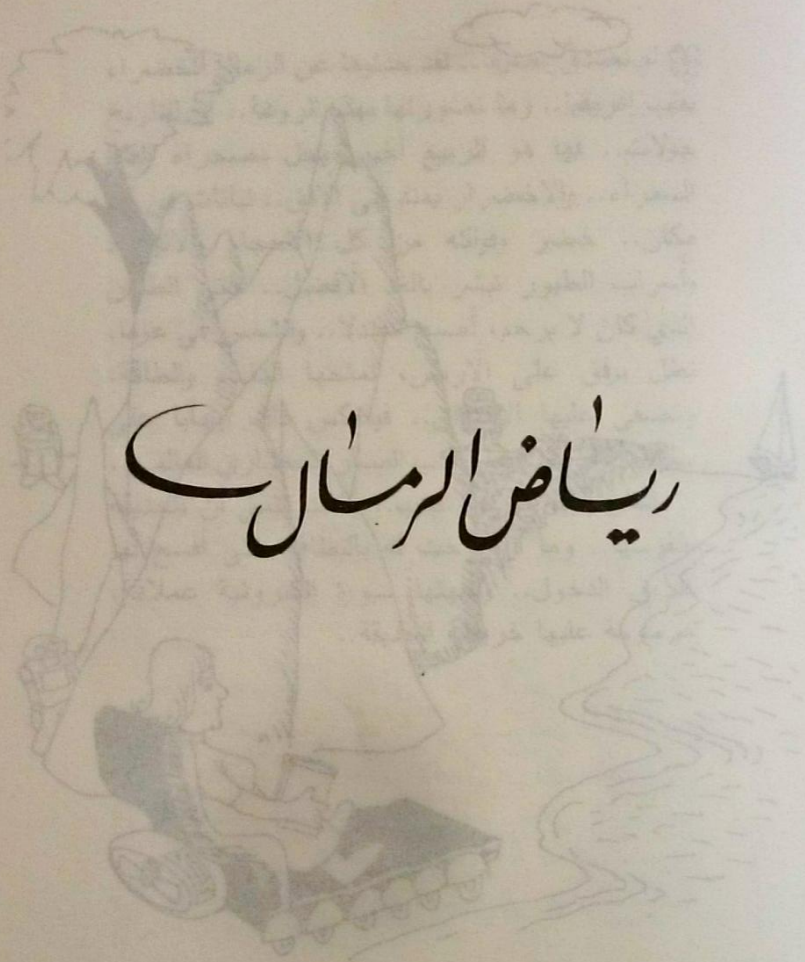

ثم تصدق بصرها.. لقد حدثوها عن الرمال الخضراء بقلب إفريقيا.. وما تصورتها بهذه الروعة.. إن للتاريخ جولات.. فها هو الربيع أخيرا يحل بصحراء القارة السمراء.. والاخضرار يمتد إلى الأفق.. نباتات في كل مكان.. خضر وفواكه من كل الأحجام والأنواع.. وأسراب الطيور تبشر بالغد الأفضل.. حتى الطقس الذي كان لا يرحم، أصبح معتدلا.. والشمس في عزها، تطل برفق على الأرض، تمنحها الدفء والطاقة، وتضفي عليها الاشراق.. فينعكس ذلك إيجابا على سلوك الافريقي، بما يواكب المسار الحضاري العالمي..

أشار إليها حارس الباب.. كادت تنسى أن للحديقة طقوسها.. وما أن لوحت له بالبطاقة حتى أفسح لها طريق الدخول.. واجهتها سبورة إلكترونية عملاقة، مرسومة عليها خريطة الحديقة..

سألت رجلا آليا كان يجمع القمامة.. فأرشدها إلى البساط المتحرك.. وانطلقت تعبر أرجاء الحديقة جالسة على كرسي.. مرت على أصناف النباتات، وأطفال يمرحون، وأزواج تشرق في محياهم السعادة.. ونقلها البساط إلى جناح الحيوانات.. ثم إلى المختبر.. فإلى منشآت الثقافة والتسلية.. وصعد بها إلى قمة جبل.. وهنا ضغطت على الزر إلى يمين الكرسي.. فتوقف البساط.. ونزلت...

كان أمامها رجل آلي منتصب القامة.. يختلس نظرات هنا وهناك.. عرفت بأن له مسؤولية داخل الحديقة.. سألته عن هذا الجبل.. فقال : إنه حديث البناء.. يطل على البحر، ذلك البحر الصناعي الذي يسقي ملايين الهكتارات، ويبعث الحياة في الأرض الافريقية..

أطلقت بصرها الى الأفق.. كان البحر أسفل الجبل مترامي الأطراف.. بحر ؟ في قلب الصحراء ؟ إنه لانجاز عظيم.. ها قد تمكن الانسان من نقل الاخضرار إلى المناطق التي كانت قاحلة.. تعاني الجفاف.. وزحف الرمال.. والمجاعة.. وقد نجح بمناطق أخرى في تحويل مساحات بحرية شاسعة إلى جزر صناعية

صالحة للزراعة.. أليس هذا رائعا ؟ لقد استفاد الانسان حقا من مآسي الحرب الكونية الأخيرة.. استفاد من العبرة النووية... وها هو يستخدم العبوات الذرية ليس لابادة بني جنسه، بل لهدف نبيل هذه المرة.. إنه شق قنوات تنقل الماء من المحيطات إلى بحار صناعية في قلب الصحارى، وتحول الرمال إلى تربة زراعية معطاء..

هذا يوم جديد.. إن للطبيعة حقا دورات.. وقد حلت دورة الازدهار بالصحراء..

ركبت البساط مجددا.. وسرحت بخيالها : نعم.. كل ما في الكون دائري.. فالأرض دائرة.. تنهي دورة لتبدأ أخرى.. نفس النظام يطبع الذرة.. والكواكب.. حتى في النفوس دورات.. وفي التاريخ.. والطبيعة.. الكل دائر.. والكل محور.. ولا حياة لهذا بدون ذاك.. وفي التوازن يكمن النجاح.. واستمرار العلاقة..

تذكرت الكتاب الذي معها.. مدت يدها إلى الحقيبة.. وصارت تتصفحه.. يقول : إن الفرد مرتبط بالجماعة، ولا سيادة للجماعة في غياب تناسق المطامح.. إن عالمنا محكوم عليه بالتعايش.. بعضنا مرتبط ببعض.. ولا سلامة للمرء في خسارة جاره..

وصلت إلى آخر محطة.. مشت باتجاه مخرج

الحديقة.. كان رجل آلى يراقبها بارتياب.. ويتمتم بكلمات فظة وصلت إلى مسمعها.. لم تتحمل هذا السلوك الخشن.. وعندما اشتكت إلى رئيسه.. علمت بأنه حسود.. فالروبوت مبرمج كي يزعج الزوار لدى خروجهم من الحديقة.. ويعكر الصفو الذي استلهموه من عالم الورود.. الحسود لا يريدهم أن يخرجوا بالتصورات الجديدة.. إنها فلسفة تريد للجميل ألا يبرح مكانه وللجمال ألا يرافق العقول.. ويفتن القلوب..

خرجت الزائرة كما دخلت.. ولكن سرعان ما نست الحادث..

ومع النسيان انبعث كل شيء من جديد.. لقد تذكرت شيئا رائعا.. تذكرت أن الربيع قد وصل إلى الرمال.. وأن الحياة عادت أخيرا إلى الصحراء..

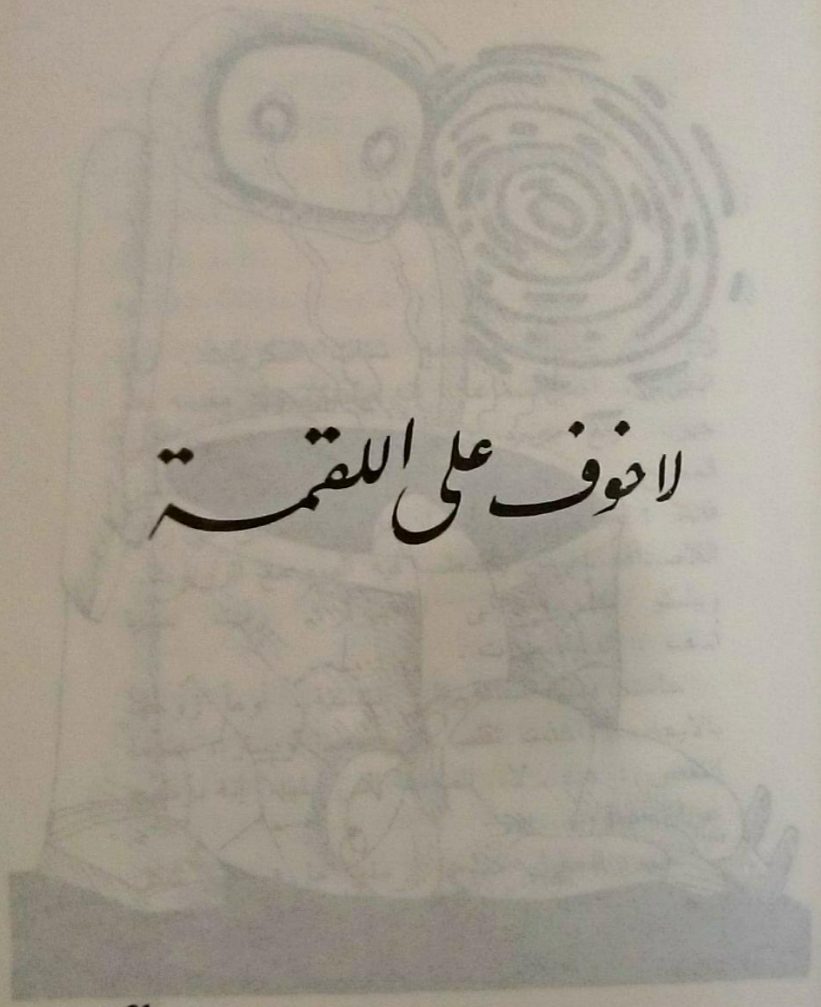

لا خوف على اللقمة

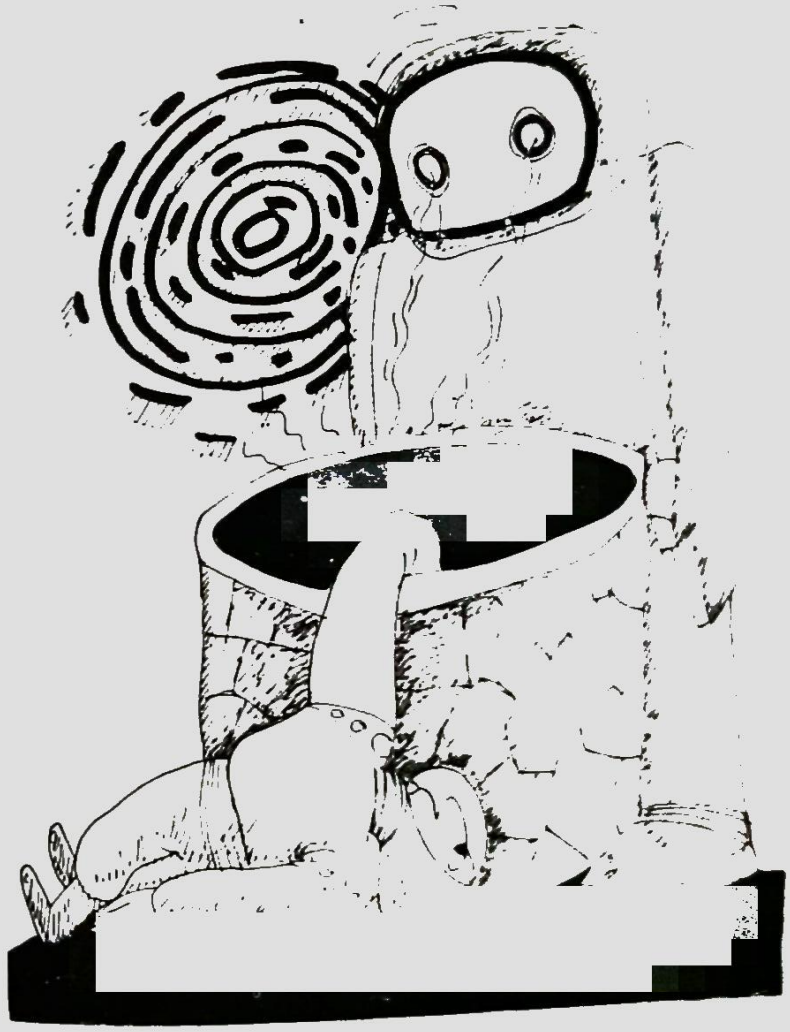

❀سرح بخياله يستجمع شتات الذكريات.. رن الجرس.. أخذ السماعة.. إنه صديق يؤكد مقدمه بعد حين.. رفع بصره.. فطالعته سليمة خارجة من المطبخ.. شرعا يرتشفان القهوة بشغف.. بادر سمير قائلا : مفاجأة سارة حقا أن يزورنا صديق في زمن اللاصداقة.. زمن يتخاطب فيه المرء مع الروبوت.. ويشكو همومه إلى الكمبيوتر.. ردت بنبرة أسف : الدنيا تغيرت..

حانت منها التفاتة إلى الشاشة.. أومأ زوجها بالايجاب.. أخذت تقلب الزر يمينا ويسارا، عندما انتفض : هذه.. لا.. المحطة التي قبلها.. إنه برنامج عن التغذية..

تظهر الحقول متنوعة.. منها ما هو في شكل مختبرات يرتدي بها المزارعون بذلات أنيقة.. وما

يسبح في الفضاء بصورة محطات، تنمو فيها النباتات بمعدل أسرع، وتحتوي على كمية أكبر من البروتين.. ومنها ما هو مقام فوق الجزر.. أو مناطق بحرية مجففة من الماء.. ومنها مزارع أنشئت بأراض كانت قاحلة..

قالت التلفزة : هذه المناطق المعطاء كانت جرداء في أزمنة غابرة.. ومقبرة للملايين.. هنا كان الجنوب.. هنا سكن الفقر والمرض والجهل.. واندلعت الحروب الجنوبية بأسلحة الشمال.. ذاك زمان مضى.. لقد بدلت الطبيعة وجهها.. وقلبت التكنولوجيا كل المفاهيم.. حتى الانسان تغير..

الانسان تغير ؟ التفتت سليمة إلى سمير : هذا والله صحيح.. التلفزة تقول الحقيقة.. رد عليها : بل الانسان تطور.. وها هو الجنوبي يركب قطار الحضارة.. ويتكيف مع العالم الجديد.. ويشارك في إعداد خريطة الغد..

دق الجرس.. لقد وصل الصديق.. أفسح الزوجان له مجلسا.. وحضرت فناجين القهوة من جديد.. فيما ارتفع صوت التلفزة : تأملوا العالم اليوم.. إن له باستمرار موعدا مع الجديد في تقنية الاستمطار

الصناعي.. ونقل جبال الثلج لري المزارع.. وتكثيف العمل الفلاحي حتى خلال الليل، بفضل المرايا الفضائية العاكسة لنور الشمس.. إن الأرض تختلف كثيرا عما كانت عليه.. لقد أصبحت فياضة بالخيرات تغمر الأسواق وتصل إلى كل البيوت.. فالأطعمة متوفرة بكل الأصناف.. حتى في شكل أقراص.. والعلوم قد سيطرت على هرمونات النبات.. مما يسمح له بمقاومة ذاتية.. وتسميد نفسه بنفسه (5).. والنمو بكل الأفنية.. استوائية كانت أو معتدلة.. نحن من عصر لا خوف فيه على لقمة العيش..

علق سمير : مادام لا خوف على اللقمة.. فحتما لا خوف على السلام ؟

- تبدو شديد الثقة بحكمة الانسان في مواجهة التقلبات ؟

- وواثق أيضا في «حكمة» التكنولوجيا!

التكنولوجيا ؟ انفجر الصديق ضاحكا : إنها قنبلة موقوتة.. وأشار إلى الروبوت القابع في ركن من البيت : هذا واحد منهم.. من الذين تشبهوا بالانسان.. ويحاولون الافلات من مراقبته.. بل والتحايل عليه.. ومن يدري ؟ فقد تذهب بهم الحماقة المستعارة إلى

اللعب بالنار.. سيما وأن بعض الناس يسلحون هذا النمط من «الكائنات».. إن التكنولوجيا خطر على الانسان.. في حين لا يزال الانسان عدو نفسه..

ابتسمت سليمة : لا أظن أن التكنولوجيا مزعجة الى هذا الحد.. فهي ذات أفضال على العصر.. وتشكل رمزا للحضارة..

قاطعها الصديق : نعم.. لقد وفرت للانسان كل شيء.. إلا واحدا.. إنسانيته.. وقد استفحلت الظاهرة منذ اختلط الانسان بالآلة.. فتقمص الروبوت شخصية الانسان.. وصار له قلب معدني يتصنع الأحاسيس.. وتوغل الانسان في الحضارة التكنولوجية.. فتشبه بالروبوت.. وأصبح بدوره ذا جهاز نابض.. ودماغ صناعي.. وتحول الى «آلة» في عمله وسلوكه ومطامحه.. هذا كثير.. لقد ابتعدنا عن أنفسنا.. وصرنا عاجزين عن العودة إليها.. وحتى عن مراقبة الآلة.. فما أحوجنا إلى مقاييس جديدة تقوم سلوكنا.. وتكون حصنا لمكتسباتنا الحضارية..

توقفت التلفزة برامجها لتذيع هذا الخبر المستعجل : تحولت اليوم مشادة كلامية بين أسرتين بضواحي نيويورك إلى معركة بين رجالهما الآليين،

بدأت باشتباكات يدوية وتناطح بالرؤوس المعدنية.. وانتهت بالتراشق بالأشعة.. مما يشكل سابقة خطيرة تهدد السلام العالمي.. المعركة لم تندلع حول المناجم أو آبار النفط، أو مواقع الثروات، مثلما كان الشأن قديما، بل حول بئر ماء.. ماء نقي لم يصله التلوث.. ماء يتكرس كعملة نفيسة يتوجب أن نجنبها المناوشات.. وتضارب المصالح.. لأن العطش مثل الجوع.. قادر على نسف السلام..

قرصنة السحب

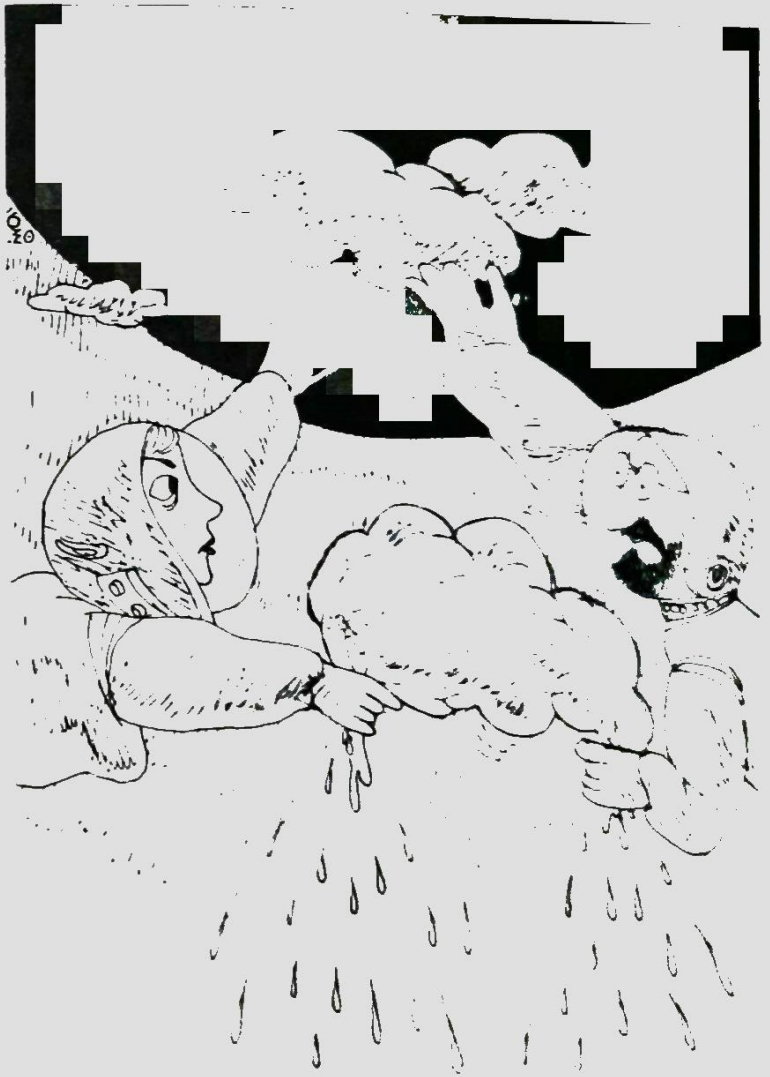

- إنه هناك.. أرأيته ؟

أدرات وجهها فلم تر إلا حطام رجل قارب المائتي سنة، يبدو وقد أنهكته الشيخوخة.. أهذا هو الأستاذ ؟ صارت تتمعنه فيما كان جالسا على كرسي متحرك، يسرح ببصره في شرود، وكأنه يغازل فكرة أو يلاحق نظرية.. لكم هو متميز بين عظماء العصر.. متخصص في علم مطاردة السحب.. إن خياله لا شك متجه إلى الأجواء.. فهي حقله المفضل.. يتعرف بسهولة مطلقة على الغادية والرائحة، على العقيمة والخصبة،من أنماط السحب التي تحبل بها الطبقات الجوية.. هناك، في المخابر الطائرة، قضى سنوات طويلة، يحلل ويدرس بخار الماء المتصاعد من المحيطات، إلى أن اهتدى إلى اكتشافات أحدثت ثورة علمية مكنت التكنولوجيا من القدرة على تسخين الجو

وتبريده. وإسقاط الأمطار، وفق الطلب..

كان مستغرقا في تأملاته، أو هكذا خيل إليها.. أليس الأستاذ من صنف المدمنين على النشاط الفكري؟ وإذا عادوا إلى الواقع، فلكي ينشروا ما قد يحركون به عجلة التطور..

ترددت.. أحست بحجم المسؤولية.. فإنك إن تقطع على العبقري خيوط تفكيره، ربما تتسبب في إجهاض مشروع إبداع جديد..

مرت سحابة وحجبت الشمس.. فارتسمت على المكان ظلال باردة.. رفع الأستاذ بصره إلى السماء ، وكأنه المعني أولا وأخيرا بهذا الحدث العابر.. وقالت في نفسها : لا عجب، فالسحاب ميدانه!

تجرأت هذه المرة.. فترجلت باتجاهه.. شجعتها ابتسامته العريضة على الخوض في صلب الموضوع.. أفهمته بأنها قادمة من قارة أخرى، على متن مكوك صاروخ، في رحلة استغرقت ربع ساعة كاملة، لاستطلاع رأيه حول مستقبل السحاب.

– لاخوف عليه سوى من التلوث!

– لقد لوث الانسان كل شيء يا أستاذ..

– هذا هو الانسان.. إنه يفسد قبل أن يحاول ابتكار

ما به يصلح.. فقد أفسد الطبيعة بالملوثات والنفايات، ثم فكر في خلق طبيعة صناعية.

– وها نحن نفكر في سحاب صناعي!

– أجل.. ولعله خير بديل للسحاب الملوث.. إنه يقوم أيضا على تبخير ماء البحر، ولكن بعاكسات فضائية للأشعة، بهدف إسقاطه مطرا نقيا على الأراضي المرغوب في ريها، بعد رشه بمواد كيماوية تطلق عليه من فوق أو توصل إليه بواسطة مقذوفات.

– وماذا عن ظاهرة قرصنة السحب؟

– إنها وجه جديد للنزاعات الاقليمية بين بني البشر، إذ تقدم مجموعة على جر سحب ممطرة استكملت نموها في أجواء الغير.. وهذه سرقة موصوفة!

– وما هو الحل يا ترى؟

– أن يقوم اتحاد فضائي بين أمم الأرض، تعهد له مهمة توزيع السحب بالقسطاس، مع مراعاة حاجيات كل منها..

– سيكون هذا إجحافا بحقوق بعض الأقطار التي حبتها السماء بقسط أوفر من السحب الممطرة..

– بل سيكون عدلا.. لأن منطق هذا الزمان، وخلافا للماضي، ينبني على قاعدة واضحة : «البحر والفضاء

حق لجميع سكان الأرض».

ومرت سحابة أخرى أمام الشمس.. أشار إليها الأستاذ بأصبعه : «هذه عقيمة».. وردت المعجبة بابتسامة مشرقة : لابد من إخصابها إذا أريد لها أن تمطر.

- وكيف؟

- بأن تمتزج بسحابة كثيفة أو يتم استفزازها صناعيا حتى تستكمل نموها بسرعة..

ضحك الأستاذ راضيا.. وسألها : منذ متى وأنت مهتمة بعلم مطاردة السحاب؟

- منذ كنت في ريعان الشباب، وقد كان عمري آنذاك في حدود الستين!

- وبماذا يوحي إليك السحاب؟

- بالحركة المتواصلة.. فالسحاب لا يتوقف.. إنه يعرض كل حين لوحة جديدة لمنظر السماء.. السحاب يرحل دون اعتبار لحدود أقامها البشر فيما بينهم.. ويرحل.. حتى إذا ثقل، عاد إلى الأرض غيثا..

- يبدو أنك مثلي مغرمة بالسحاب..

- بعد يا أستاذ.. إنه حلقة في دورة الحياة.. فالماء الذي نعتقده حديثا هو عكس ذلك، قديم قدم بشائر الحياة

على الأرض.. فقد مر بمراحل عديدة، تشكل السحب إحداها، قبل أن يصل إلى صنابرنا، ثم أجسامنا، ومنها يواصل الرحلة..

حملق الأستاذ في عينيها بإعجاب.. إنها نابضة حيوية وطموحا.. لقد أسرته برقتها وحركت شيئا راكدا في قلبه منذ عدة سنوات.. سألها عن عمرها فقالت إنها دخلت المائة.. حرضه نضجها على البوح بما يعتمل في صدره.. فلكم تمنى أن يعثر على عاشقة للسحاب. تقبل أن تشاركه ما تبقى من أيامه وتزيح عنه الوحدة القاتلة.. فإذا بالمعجبة ترد بنبرة أسف : «إني متزوجة».

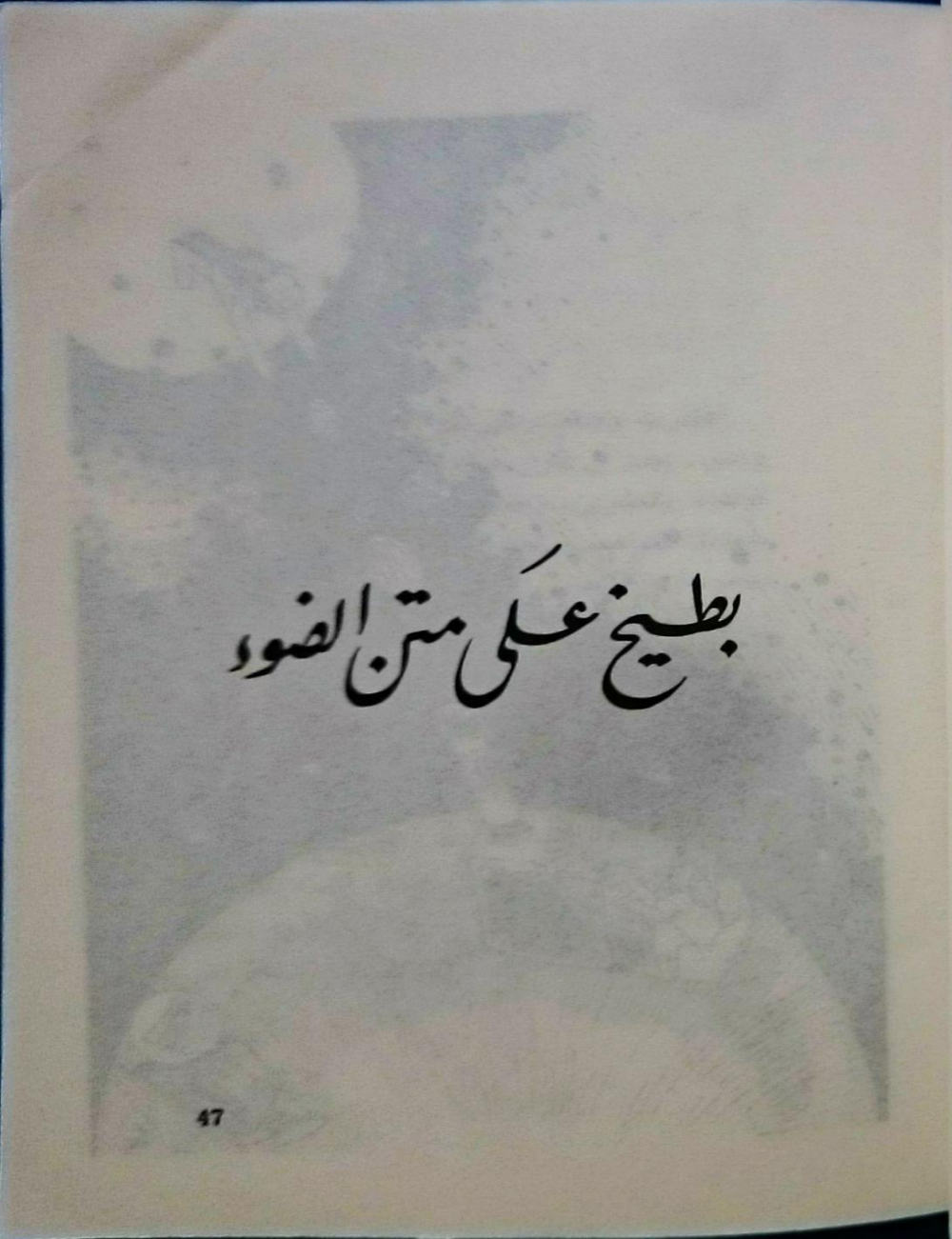

بطيخ على متن الضوء

اعتذرت واندفعت مهرولة نحو الباب.. الوقت لا يرحم.. يجب أن تكون هناك في تمام الثامنة.. إنها في الواحدة والعشرين.. مشرقة المحيا.. ممشوقة القد.. متعددة المواهب.. اختيرت منذ بضعة أشهر بين مجموعة من الشباب، كي تخضع لتدريب خاص، قبل أن تباشر عملها في أحد أقسام محطة بث المواد الغذائية إلى القمر.. ولقد أثبتت استحقاقها للمهمة، ولكن مراقبها قلما يعترف. على العكس، لا يتردد في انتقادها لأدنى سبب.

ذلك الصباح، وخلاف المتوقع، لم يقل لها شيئا.. وكأنه لم يلاحظ بأنها تأخرت.. تعجبت للأمر.. أي شيء أصابه ؟ لم تر أي تعليل واضح. كتمت اندهاشها، وجلست بهدوء، وفي نيتها أن تواجه أي تجريح محتمل بكبرياء وتحد.. ثم شرعت في عملها.. تضغط على

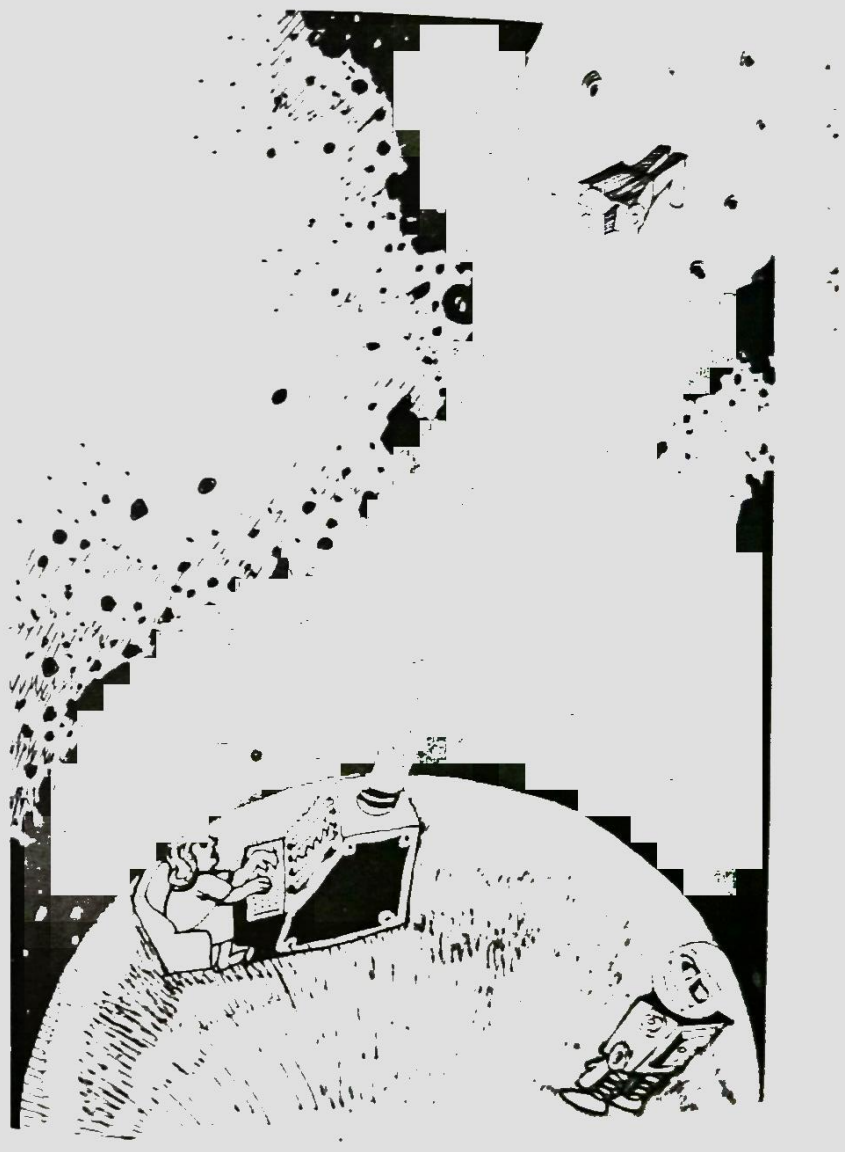

الزر رقم ثلاثة، فتبدو على الشاشة كمية البطيخ التي سيتم بثها إلى القمر في تمام منتصف النهار، إنها خمسون طنا، وتضغط على الزر أربعة، فتشاهد غرفة التحويل.. وعلى الزر خمسة فتتابع الاستعدادات الجارية بالمحطة القمرية لاستقبال البضاعة.. وعلى الزر ستة، فيتأكد لها بأن كل العقول الآلية تعمل بشكل طبيعي.

استنشقت كمية وافرة من الأوكسجين، ثم أدارت وجهها صوب مراقبها المباشر، إنه الروبوت رقم 13، وفي نيتها أن تمازحه.. ابتسمت وقالت : ماذا أسكتك ؟ لم يجب.. وسألت : من تراه صرف تفكيرك عني هذا الصباح ؟ ولم يجب.. تشككت في أمر هذا الروبوت.. حدقت فيه مليا، تحاول أن تستشف ما يدور في ذهنه.. وأطالت النظر.. لم يحرك ساكنا.. وانبرت تغني وأناملها تنتقل من زر إلى آخر.. وقد تهلل وجهها غبطة.. ولكن الروبوت خرج هذه المرة عن صمته، قال بلهجة آمرة : بعد لحظات تبدأ عملية بث البطيخ إلى محطتنا القمرية.

استقامت في جلستها، وأخذت تتتبع نقل البطيخ إلى غرفة الاعداد، فبعد قليل سيبدأ تحويله إلى عناصر

فذارت ثم فوتونات... طاقة جاهزة لاختراق الأجواء، بسرعة الضوء (2) ، على أن يستعيد تركيبه الأصلي بمحطة الاستقبال فوق القمر، تماما كما يستعيد جهاز الاستقبال البرامج المنطوقة المصورة التي تبثها المحطة التلفزية في شكل أمواج كهربائية منغاطسية.

وفي غفوة عذبة، استسلمت الموظفة الحسناء لخيالها.. قالت تخاطب نفسها : اليوم نبث البطيخ وقريبا يأتي دور الانسان.

وقاطعها صوت مألوف : الرجاء من الآنسة ألا تغيب بفكرها عنا.

انتبهت مذعورة، ومسحت عينها ثم ردت : أنا حاضرة أيها المراقب.

لكنه لم يقتنع : يبدو أن الآنسة غير قادرة على الافلات من هيمنة الخيال.

ـ أنت تظلمني يا... روبوت !

ـ الخيال ثم الجحود.. هذا كثير.. فلتعتبر الآنسة نفسها مفصولة عن العمل إلى إشعار آخر.. سطوب.. مراقبة أجهزة بث البطيخ تسند إلى الدماغ الآلي رقم 17.. سطوب.

وتنطفيء أضواء الشاشة، وفي توتر عصبي تتناول

الموظفة مفتاحها الشعاعي، وتقتحم الأبواب صوب الخارج..

وفي المنزل تعلم بأن خطئا تقنيا حصل في محطة الارسال، أدى إلى إفساد البطيخ.. وأن المسؤول عن ذلك ليس سوى الروبوت 13.

وتعود مهرولة، وفي نيتها أن تفرغ عليه غيظها المتراكم.. لكنها تفاجأ بنقله الى مصحة الأدمغة.. لقد أصيب بالهبل..

الى رصيف المشاة

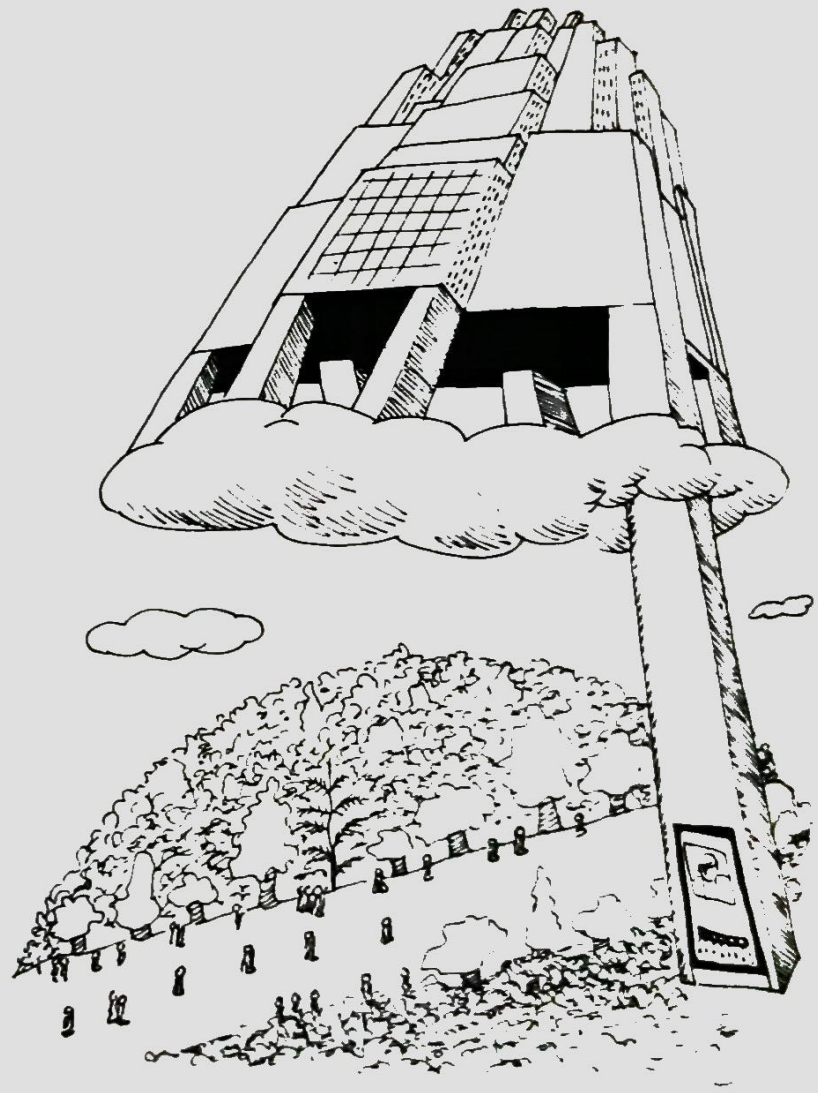

❀نزلت من القطار الجوي.. المحطة مكتظة الحركة.. رفعت بصري إلى السبورة الالكترونية.. المصعد المؤدي إلى أسفل موجود هناك على اليمين.. نحن في الطابق المائتين.. أركب مع وجوه لا أعرفها.. ألمس الغربة من قريب.. غريب أنا..

توقف المصعد.. ها أنذا في الخارج.. أرى التراب.. كم هو ساحر هذا الاخضرار.. إنني لم أطأ البسيطة بقدمي منذ أزيد من سنة.. هذا منطق العصر.. فالمدن المعلقة في الجو تمنح المرء كل ما قد ينسيه جذوره..

ركبت البساط المتحرك.. الرحلة نحو رصيف المشاة لن تستغرق سوى دقائق معدودة.. هناك تمكنت أخيرا من رؤية الأفق.. إن سكان الجو لا يعرفون سوى السحاب.. وإذا صفت السماء وألقوا نظرة إلى أسفل، شاهدوا الأرض ميالة إلى الزرقة.. وكأنهم ينظرون إليها

من طائرة..

أوصلني البساط إلي الرصيف.. ها أنذا أتمكن أخيرا من المشي على الأقدام.. تماما كما كان يفعل آدم.. وأستطيع أن أركض بين الأشجار والأزهار.. أهذه حديقة طبيعية ؟ ان نباتها مغروس في تراب حقيقي.. انطلقت في التقاط صور تذكارية.. ما أجمل هذا الاخضرار.. وأميز الفرق بينه وبين حدائقنا الصناعية.. المقامة بالأحياء الجوية.. ما أحلى الطبيعة إنس.. في طبيعتها..

الناس على الرصيف كثر.. إنهم على العموم فرادى.. وقليل هم القادمون مثنى وثلاث.. غير أن بعضهم يكادون يفقدون فن المشي لفرط اتكالهم على الآلات في تنقلاتهم.. لقد خلق الانسان كي يمشي.

ها هم يستنشقون الهواء مباشرة من الطبيعة.. من المصدر.. ما أرحم الأرض.. لا يحتاج الراجل المتجول فوقها إلى حمل قنينة أوكسيجين كما يفعل مشاة الفضاء والمحيطات.. والمساكن على الأرض لو وجدت لما تطلبت تجهيزات خاصة بالتنفس، على غرار ما يحدث في ناطحات السحاب.. لقد استعادت الأرض دورها الأول كحاضنة للمزارع والحدائق.. صارت

البسيطة مكانا للسياحة.. وأما الأحياء السكنية والمصانع ومنشآت الترفيه والثقافة، فمكانها هناك، في الأجواء والبحر..

صرت أمشي.. وأمشي.. وكأنني أعود بالتاريخ آلاف السنين إلى الوراء.. أخذت أتأمل الوجوه التي أمامي.. وعن يميني وشمالي.. وجوه قدمت إلى رصيف المشاة.. إلى الأرض الأم.. إلى منبع كل هذه الحضارة الآلية.. كل هذا النظام الذي لولاه لهلك المجتمع.. الحياة متوقفة فعلا على النظام.. فلو اختل، لاتسعت رقعة الهشاشة وتهاوى الانسان..

حملقت ببصري في الأرض.. إيه أيتها الحبيبة.. ما أحوجنا إلى مزيد من النظام للمحافظة على جمالك وسحرك.. لا حياة بدون نظام.. وما ينطبق على الانسان يعني كل الأسرة الكونية، من الحيوان إلى الجماد.. من الذرة إلى أضخم نجم.. النظام أساس التوازن.. منطلق أي استقرار.. أي تطور.. الفوضى مصدر الانهيار.. نهاية الكائن.

قرأت على وجوه بعض الناس أنهم ما قدموا إلى رصيف المشاة إلا نزولا عند رغبة الطبيب.. يا له من زمن متناقض.. حتى المشي فيه يكون بقرار من

طبيب..

سمعت صوتا من الخلف يناديني.. التفت.. إنها هي.. بنت خالتي تتأبط كتابا..

ـ بل إنه شيء آخر..

ـ وما هو ؟

ـ دماغ!

فتحته على الفور.. لم تكن به أوراق.. فقط شاشة وبضعة أزرار ومكبر صوت..أخذت أتتبعها بنظرات فضولية.. بينما شرعت تتحدث عبر الجهاز إلى مجهول..

سألها : أين أنت ؟ قالت : على رصيف المشاة.. وعما إذا كانت وحدها، فردت : برفقة ابن خالتي..

سكت المتحدث فجأة ثم قال بلهجة آمرة : احذريه! واستوضحته عما يعني بذلك، فأجاب : إنه من المثقلين بالراحة.. المصابين بإرهاق الجلوس.. من يعتمدون على الآلة في تنقلاتهم حتى داخل البيت..

وقفت مشدوها.. لم أصدق عيني..

كانت ابنة خالتي قد بدأت تتراجع..

وتبتعد عني..

خشية العدوى!

الفستان الالكتروني

❀حدق في وجهها... كان شاحبا.. أسرع إلى الدولاب.. وعاد منه بفستان.. ألح على ابنته بأن ترتديه.. ففيه علاجها.. نطقت الأكمام : لا تخف على نادية.. وقاطعتها الجيوب : امنحها جرعة أوكسجين.. وقالت الأزرار : عليك يا نادية أن تمنحي جسمك نصيبه من الراحة.. ضحك الحزام : وإياك أن تهملي راحة العقل..

انسحب الوالد بحثا عن اللوازم.. تململت نادية في فراشها المتحرك.. لقد أحست بأن معضلتها أعمق من كل هذه المظاهر.. إن في نفسها عقدة لا تبارحها.. كابوس ينتابها ليلا ويلاحقها في النهار..

رفعت بصرها.. كان الروبوت ذو البذلة البيضاء جالسا على الكرسي في استرخاء.. وعيناه مركزتان عليها.. قالت بصوت خافت : نحن في عصر

المخاوف.. أتذكر يوم نصحتني بمواجهة الحياة بشجاعة ؟ رد عليها : نعم. قالت : شتان بين ما علمتني وما يزخر به الواقع.. إيه.. مصادر الخوف متنوعة حتى في هذا الزمن..

عاد الأب وفي يده كوب وأقراص.. حرك الروبوت رأسه موافقا.. ألقت نادية بالأقراص في فمها.. وأتبعتها بالمشروب.. قال الروبوت : اطمئني.. فمن الأقراص ما هو مخصص للتغذية والانعاش، ومنها واحدة تتحول إلى كبسولة دقيقة ستبث إلينا من أمعائك بعد لحظات معلومات في شكل إشارات لاسلكية عن أحوالك الداخلية..

سأله الأب عن الحمى.. فأجاب الرجل الآلي : إن البذلة الطبية متوفرة على ألياف التكييف، لعزل الحرارة أو تركيزها.. هذه ستساهم بفعالية في تخفيض حرارة الجسم، وفق حاجة المريضة..

انحنى الروبوت على نادية.. عيناه تشتعلان حينا وتنطفئان أخرى.. مرت اللحظات سريعة.. انتصب الطبيب الآلي.. وابتسم : نتائج التحليل إيجابية.. سألته نادية عن الكبسولة.. ضحك : إنها ستنزل غدا من جسمك عبر فتحة الشرج.. لاعادة استعمالها عند

الحاجة.. إنها أداة عمل..

تناولت المريضة كوبا آخر من عصير منعش.. أحست بأن الحياة أخذت تدب في جسمها من جديد.. وأن الدفء يعود إليها تدريجيا..

نصحها الروبوت بألا تخلع فستانها الالكتروني إلى إشعار آخر..

- أمرك مطاع أيها الطبيب...

- إنك لازلت في مرحلة النقاهة.. والملابس مشحون بأجهزة دقيقة لا ترى بالعين المجردة.. سأعتمد عليها، وهي التي تلمس جسمك عند كل موقع حساس. لارشادك في ضوء ما يصلني من معلومات..

- بفضل هذه البذلة سنبقى إذن على اتصال مستمر ؟

- تماما.. والآن بإمكانك يا نادية أن تتحركي.. وتخرجي من البيت.. بل وتقومي بنزهة في الحديقة..

هذه هي الحديقة.. تسع كل سطح المدينة.. أشجار هنا وهناك.. أزهار وورود.. حتى الطيور حاضرة.

سمعت نادية صوت الروبوت يخاطبها من خلال أكمام الفستان.. ويطلب منها أن تستنشق الهواء بكل جوارحها.. إنه خير علاج للكواسيس.

تدخل الجيب الأيسر عند جهة القلب : ليس في جسمك داء.. مشكلتك نفسانية..

ـ وما علاجي ؟

رد الجيب الأيمن : ابحثي عن مصادر القوة فيك..

قالت الأكمام : في أعماق كل ضعيف منابع قوته.. إذا اكتشفها زالت عنه كل هيبة.. وحملت قسماته بشائر الرضا.. فاستراح وأراح .. لا داعي للخوف.. فلربما يكون الخوف من حادث معين أكبر من الحادث وأشد عاقبة..

وقاطعتها الأزرار : من لا يخاف لا يعتدي.. وما يزرع الذعر في الناس غير الخائفين.. هم الأقوياء ظاهرا.. الضعفاء باطنا..

شعرت نادية برعشة مفاجئة تسري في جسمها.. تغيرت ملامحها.. حتى لون البذلة تغير.. إنه انعكاس لنفسية اللابس.. بدأ قلبها يدق بعنف.. وأصوات البذلة ترتفع.. تدعو نادية للتغلب على الكابوس.. على مواطن الضعف.. على الخوف.. أحست بالدوار.. تملكها الفزع.. صرخت مرة واحدة.. ثم فقدت توازنها.. ودخلت في غيبوبة..

عندما فتحت عينيها.. كان أبوها واقفا.. نظرت إلى نفسها.. فلم تر البذلة.. ابتسم لها.. وردت : أريد لباسا لا يتكلم.. لا ينفعل.

ولید مشترک

❀ أدركت بغريزة الأنثى معنى نظراته العطشى.. إن في قلبه ميلا جارفا لا يستطيع وأده.. ترددت طويلا.. وفي لحظة استغراق..استسلمت.. وقبلت به زوجا..

باحت له بما يعتمل في صدرها.. فاهتز ابتهاجا : نعم.. ما أحوجنا إلى طفل..

- أريده متوسط القامة والذكاء...

- هذا ممكن..

- وموهوبا في مجال الفن المسرحي..

- وهذا ممكن أيضا..

- على أن يكون نسخة من أمه...

- نسخة طبق الأصل ؟ احمر وجه الزوج.. تغيرت ملامحه : أنت إذن واحدة منهن ؟ من صاحبات الموضة الغريبة.. موضة استنساخ الانسان (1).. تخليق الأطفال ليس من لقاح البويضة والخلية المنوية.. بل من

خلايا الجسد.. اية خلية.. من الأنف كانت أو الأذن.. او حتى القدم..

- نعم.. ولا أرى في ذلك ما يدعو للتهويل.. ألسنا من اهل العصر ؟ في ظل منطق يقبل ألا تحمل الزوجة.. وان تستعير رحما آخر.. بشريا أو صناعيا.. كأني بك تحاول مغالطة الطبيعة.. فأي عيب في أن يكون لي طفل من خلية جسدية ؟ أرجوك.. لا تعارضني.. سامنحه كل شيء.. كل ما يحتاج من محبة ورعاية.

تطلع اليها بنظرات حيرى.. أكيد فقدت عقلها.. ولكنها لم تمهله يتكلم.. قالت : المسألة في غاية البساطة.. فسأذهب إلى المختبر.. كي تؤخذ مني بضع خلايا.. ثم يقوم المختصون بتنمية واحدة منها وكأنها نبتة.. لتصبح مع الأيام طفلا مكتمل النمو.. يشبهني تماما.. بفعل صفاتي الوراثية المسجلة على الخلية..

ونظر اليها مستغربا.. يا إلهي ماذا أصابها ؟ طفل مستنسخ ؟ ايه على زمن الأجداد.. كان الانجاب يتم عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى.. تحمل الأم الجنين في بطنها.. قبل أن تلده ويكبر في أحضانها وظل الرعاية الأبوية.. يومها كان للأسرة كيانها المحترم كعمود فقري للمجتمع.. والطفولة تساهم بنصيب وافر

في تجلي المحبة والوفاء.. أما اليوم فقد تقلصت أهمية الطفولة.. ومعها كل الكيان الأسروي.. بعد أن أصبح في الامكان استنساخ الانسان.. وبمقدور أي كان، رجلا او امرأة، أن «ينجب» ما يشاء من بنين وبنات..

استوت في جلستها.. أحست برعشة غريبة تدب في أوصالها.. نظرت يمينا ويسارا.. وبعد لحظة تأمل، سألت : وهل في استقلالية الانجاب ما يضير الرجل ؟

ورد فورا : الأمر ليس مسألة رجولة أو أنوثة.. إنه مصير الزواج.. مصير الأسرة.. فبقدر ما استطاعت المخابر التحكم في هندسة الخلايا.. بقدر ما انهار الجنس.. وفقد معناه.. وتلاشت العلاقات.. وفترت الروابط الأسروية.. لأن الانسان أصبح مثل البطاطس.. قابلا لأن يُستنسخ بكميات وافرة.. حسب الطلب..

حدق في وجهها.. كان الذهول قد ألجم لسانها.. فأردف :

- بصراحة.. أرفض هذه التقنية.. لا أعتبرها منافية للطبيعة.. فهي ثمرة اكتشافات طبيعية.. ولست أرفضها لمضاعفاتها الآنية والمستقبلية على العلاقات.. ما دامت أسلوبا جديدا.. والجديد قلما لا يواجه بالمعارضة.. إنني

أرفضها لسبب آخر..

- أوه.. وماهو ؟

سكت الزوج.. ولما تلاقت النظرات.. ابتسم : لست ضد مشروع طفل يأتي عبر المختبرات، والخلايا الحية، إذ لن يغير من واقع الكون شيئا.. ولكن...

- لكن ماذا ؟

- المزعج هو أن ينفرد أحدنا بطفل.. وبوضوح.. مصيرنا واحد.. حياتنا واحدة.. فلم لا يكون لنا وليد مشترك ؟

نظرت في عينيه بشغف.. كان يبتسم.. تفتحت أنوثتها.. قالت بإذعان : لك ما تريد..

ناولها يديه.. واندفعت تدفن رأسها في صدره..

الموعد مع البشرى بعد تسعة أشهر..

مزرعة الأعضاء

❀هنا المصحة السرية.. عند القاعة الكبيرة هناك، وقف المختصون الثلاثة بشموخ.. يرقبون حركات شبان في مقتبل العمر.. مفتونين برشاقتهم.. ويتفحصونهم واحدا واحدا.. بنظرات يلمع فيها الرضا.. قلب الثالث يده.. ألقى نظرة على الساعة وقال : هاه.. لقد حان الوقت.. رد الثاني : احضر اللوازم بسرعة.

وما هي إلا لحظات حتى كان كل شيء جاهزا.. عاد الأول أدراجه يرد على الهاتف.. وفتح الثاني الباب.. فيما شرع الثالث يدفع المائدة المتحركة.. وعليها أقراص وأطعمة..

اصطف الشبان.. تسلم كل منهم وجبته وانسحب.. لقد درجوا على هذا النظام منذ بدأوا يعون وجودهم.. ففي هذا المكان رأوا النور عبر تقنية استنبات الخلايا الحية (ا) على يد الخبراء الثلاثة.. الشباب لا

يتساءلون.. ولا يفكرون فيما سيكون عليه الغد.. ولا تنتابهم أحاسيس ملحة عندما يفتقدون أحدهم.. تقرأ على وجوههم البراءة.. وتدرك بأن لا شيء قادر على تحريك ما هو راكد في نفوسهم..

ـ إنهم مجرد أجساد بشرية!

عاد الأول يروي لزميليه أن زبونا يريد استبدال كبده.. وسيحضر غدا لاجراء الفحوص الضرورية قبل تحديد موعد العملية..

دخل الثلاثة إلى المكتب.. استخرج أحدهم ملف الزبون.. ثري عجوز سبق أن استبدل في هذه المصحة السرية كليتيه منذ سنتين..

ـ إنه يفضل اقتناء بضاعتنا على التعامل مع المؤسسات المعترف بها ذات الأعضاء الصناعية أو المستأصلة من أموات أو متطوعين!

ـ وهل أثرت معه موضوع الأسعار؟

ـ لم أفعل.. ولكن الزبون ليس من النوع الذي يستهويه المال أكثر من اللازم.. لقد أكد لي بأن ما يهمه في الدرجة الأولى هو أن يقهر الشيخوخة.. فكل يوم يقتحم عمره يجعله أكثر تشبثا بالحياة..

ـ علينا أن نجد له كبدا مناسبا.. سأبحث الأمر..

وأرى ما إذا بقي في الثلاجة ما يصلح لقياسه.. وإلا اخترنا واحدا من «أكبادنا» المتحركة..

ـ أكبادنا المتحركة ؟ هاهاها..

ـ أوه.. هناك حدود لاحتمال البشر..

ـ وها هي السبل جميعها تنتهي بنا إلى منفذ وحيد.

ـ ما أحوجنا إلى اعتراف رسمي..

ـ لو تعترف القوانين بمشروعية استنساخ الانسان، انطلاقا من استنبات الخلايا الجسدية، يصبح في متناول أي كان أن يتوفر على ما يشاء من نسخ بشرية طبق أصله، يأخذ من أصحابها عبر السنين كل ما يحتاجه من قطع الغيار ليمدد بها حياته.. سيما وأن هذه الأعضاء لا يلفظها الجسم لأنها منبثقة من خلاياه..

ـ ولم لا نحاول تلمس طريق قانوني يوصلنا إلى اعتراف رسمي؟

ـ ياليتنا ننجح في ذلك..

ـ عندها سندخل تعديلات جوهرية على نشاطاتنا.. ولن تبقى مصحتنا سرية.. سنسميها «مزرعة الأعضاء البشرية»..

ـ ولن نكتفي بثروتنا الشابة التي أفرغناها من

إنسانيتها.. لنستأصل منها ما نشاء من قطع الغيار، بل...

- أعرف ما تقصد.. سنشن حملة دعائية واسعة النطاق تحت شعار : احتفظ بنسخ من جسمك في مزرعة الأعضاء.. تجدها في خدمتك إذا تعطلت أعضاؤك..

- هاهاها.. وطبعا سيكثر الزبناء.. سيكونون من مختلف الأعمار والأجناس.. ولن نقتصر على أثرياء العجزة.

- إننا في حاجة ماسة إلى أرض صلبة..

- وماذا يمنع القوانين من قبول استنبات نسخ لكل المجتمع البشري؟

- على العكس.. سيستفيد جميع الناس..

- ونستفيد نحن أيضا..

أسرف الثلاثة في تعاطي الأحلام.. وعششت القناعة الملغومة في أذهانهم.. ولم يقدروا على كبحها.. وكان لابد أن تزل الأقدام.. نشروا الاقتراح الغريب.. أثار موجة من الامتعاض.. اعتبر طعنة لكرامة الانسان.. كل إنسان..

واحتد الجدل.. وتعقبته الاشاعات.. ثم اكتشاف المصحة..

معكسر الثلاثي الرهيب!

نادی اسوبرمان

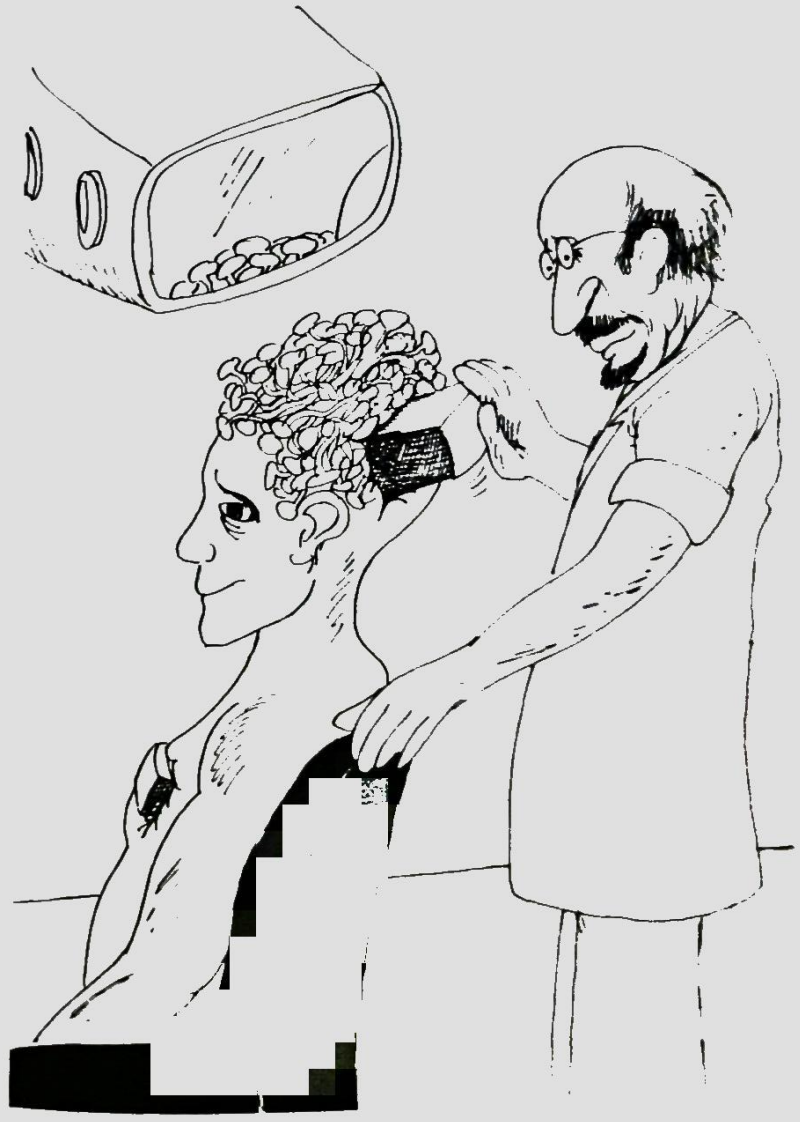

❀ انطلق يجري.. والعيون تلاحقه.. فجأة جلس على الرصيف.. ثم توقف.. وانصرف معتدلا فى مشيته.. عندها أدركت حنان بأنه واحد منهم.. من الذين يوصفون بالخارقين للعادة.. السوبرمان..

اقتربت حنان من الرجل.. تأملته مليا.. إنه فارع الطول.. مفتول الشاربين.. ينظر فى كل الاتجاهات.. اختلس نظرة إلى عينيها.. ثم سألها : ماذ تريدين ؟

ابتسمت.. لم ترد بشيء.. صار يتفحصها.. وقال : هاه.. اسألي ما شئت!

ردت بلهفة : حدثنى عن تصرفك الغريب..

- غريب ؟ بل إنه طبيعى.. تنفيذ لأوامر تأتى من الداخل..

- من الداخل؟

- من القلب.. فالقلب ليس مجرد مضخة تمنح

الحيوية لاطراف الجسم.. بل أيضا مصدر التعلق بالحياة.

نظرت حنان إليه مشدوهة.. فيما استرسل : القلب هو الذي اختار لي شقة.. وزوجة.. وحدد لي عدد البنين والبنات.. وإطار التربية.

- القلب ؟

- طبعا.. وهو الذي يختار أصدقائي.. ويرشدني لنظام الغذاء.. والرياضة.. والنزهة .. والقراءة.. ويطلعني حتى على ما سيكون الطقس غدا.. وأكثر من ذلك.. هو الذي أشار علي بمحادثتك..

استغربت حنان لأمر الرجل.. فأي قلب هذا الذي يرشد ويطلق ويزوج؟

إنه من نمط آخر.. جهاز نابض.. قادر على البث والاستقبال.. يرتبط بالدماغ عبر شبكة الاتصالات الطبيعية في الجسم..

- ومن أين يستقي المعلومات ؟

- من بنك المعطيات المركزي.. بنك يضم كل أصناف المعرفة.. يتلقى عبر جهازي القلبي كل تجاربي اليومية.. يسجل كل ما أراه وأسمعه وأتخيله وأعانيه.. ويصنف المعلومات.. وبفضل هذا الرصيد

يقدم لي النصائح المناسبة..

- أنت آلة إذن؟

- بل إنسان يستفيد من الآلة.. أو إذا شئت : أنا الانسان الآلة..

ازدادت حيرة حنان.. إنسان آلة ؟ تدارك السوبرمان الموقف : وهل تعلمين أن بيننا الانسان بمؤهلات حصان أو سمك ؟

- لا.. لا.. هذا مستحيل..

- بل ممكن.. فنحن أعضاء نادي السوبرمان.. فينا من أجريت له عمليات لتطعيمه بقدرات ليست بحوزة الانسان العادي.. في حين يتوفر عليها الحيوان.. مثل الشم والسمع والرؤية.. وهذه حواس متطورة جدا لدى أنواع من الحيوانات.. وها هو الانسان يستعيرها من الحيوان.. كما يستفيد من خدمات الآلة..

فغرت حنان فاها.. وقبل أن تنبس بكلمة، واصل السوبرمان : وفينا أيضا من غيروا شخصيتهم.. وتقمصوا أخرى..

- إيه ؟ ماذا تقول ؟

- لا غرابة في ذلك.. فبعد أن أصبح عاديا تسجيل حياة الفرد كاملة في ملفه الالكتروني ببنك المعلومات،

يقتني المنخرطون أقراصا لتصنيع التجارب.. سجلت عليها مدارك واستنتاجات حياة سابقة.. وبذلك يتم ربط الماضي بالحاضر.. وكأن الحياة الواحدة قد امتدت لأجيال دون انقطاع.. وهذا مفيد جدا لعملية التطور.. ومعرفة الانسان بأسرار الكون.. والآن؟ أستسمحك.. قلبي يناديني..

- وماذا يقول ؟

- يريدني أن «أذهب» إلى الماضي.. إلى لحظة إيجابية مرت بي منذ عشرين عاما.. سأعيشها من جديد.. فنحن السوبرمان قادرون على تناول وجبات من أطباق التاريخ.. متى شئنا..

- وكيف ؟

- كل السر يكمن في أقراص بنك المعلومات.. سأبتلع حبة تحمل بصمات الفترة المعنية.. فأنا بحاجة الى تلك السعادة بالذات.. ألسنا من زمن كل ما فيه يسجل؟ وينبعث من جديد.. وفق الطلب..

ضحك السوبرمان.. واستطرد : هذا عالم يحير حتى الباب أهله.. عالم يستطيع فيه المرء أن يستحضر ما يشاء من مراحل حياته.. وأكثر من ذلك.. أن يعيش فترات ماضية... بطلها شخص آخر.. وبهذه الطريقة

أصبحنا نتبادل الخبرات.. نتراسل بالأقراص.. نعبر بها عن مشاعرنا.. ونحكي عن مغامراتنا.. فنحن أعضاء نادي السوبرمان نقتني من بنك المعلومات ما نشاء.. من أقراص الحب.. إلى أقراص السعادة.. فأقراص المعرفة.. ونتنقل بذلك عبر التاريخ جيئة وذهابا.. نتوقف عند أية فترة مسجلة.. ونستعرضها من جديد إدراكا ومعاناة.. إنه الاحساس الصناعي بفترات تاريخية نريدها دعما لرحلة المستقبل.. والآن؟ أستسمحك.. ولكن قبل توديعك.. هلا خبرتني عن العصر الذي وضعت نفسك فيه هذه اللحظات؟

- أواخر القرن العشرين..

- أوه.. أنا ما فكرت يوما في «زيارة» ذلك العهد..

- ولماذا ؟ أليس هو مرحلة الانطلاقة الحقيقية ؟

- أجل.. إنه فجر الحضارة.. ولكنه أيضا عصر رهيب.. القرن العشرون بداية الانتفاضة في تاريخ المعرفة.. هذا صحيح.. ولكنه مرحلة نووية كادت تأتي على الأخضر واليابس.. كادت تغتال الحياة.. لولا أن الحياة مكتوب لها بقدرة قادر أن تستمر.. وتتفتح أكثر فأكثر.. والآن ؟ إلى اللقاء.

- إلى اللقاء..

تتبعت حنان بعينيها الرجل وهو يبتعد.. وفي نفسها قناعة بأنه لا يزال يراها.. أليس في جوفه جهاز نابض؟ يرى في كل الاتجاهات.. ولا يعرقله حاجز..

تحركت من مكانها.. وقلبها معلق إلى ذلك السوبرمان : ها أنت يا إنسان تتغلب على الطبيعة وكل شيء ميسر لك.. فأنت طائر إذا شئت.. وسمكة متى تريد.. تجوب العالم شرقا وغربا.. والتاريخ طولا وعرضا.. ماذا بعد كل هذا ؟ هل أنت قادر على إحصاء كل الآفاق ؟ كل قنوات المعرفة ؟

مسحت جبينها.. وابتسامة شاحبة ترتسم على شفتيها : أكيد لا.. فأنت يا إنسان محدود رغم كل الكمالات.. لن تعرف كل الينابيع.. لأنك قادر فقط على أن تحلم.. وأن تتحرك.. في حدودك ليس إلا..

ابتسمت حنان ثانية وهي ترفع بصرها إلى أعلى، تحملق بإعجاب في الفضاء اللامتناهي : كبرت السماء التي تجول يا إنسان بين كواكبها.. وعظمت بحار المعرفة التي تسبح فيها.. أنت قوي.. ولكن محاط.. فما أوسع الآفاق.. ما أعظم المجهول..

غاب الرجل عن ناظريها.. مسكين هو السوبرمان.. ترى ماذا يصيبه إذا توقفت عنه خدمات

بنك المعلومات ؟

مضت شهور قبل أن تعرف حنان الجواب.. التقته صدفة.. طلب منها أن تساعده لعبور الطريق.. سألها عن الهدف من مصلحة الضرائب.. ثم عن أحوال الطقس.. وسكت طويلا قبل أن يضع يده على قبله.. وقسمات الوجه توحي بأن شيئا يتصارع في أعماق الرجل.. فجأة طلب من حنان أن تساعده ليجلس ففعلت.. ورجاها أن توقفه ففعلت.. وبعد نوبة من الضحك الهستيري، أمرها أن تصفعه...

وإذاك.. أدركت بأن بنك المعلومات قد أصيب بالخلل..

عندما يعشق الروبوت

❀ قفزت من سريري بفزع.. يا إلهي ماذا حدث ؟ نزلت الدرج مسرعا باتجاه مصدر الصوت.. إنه الكمبيوتر يوجه اللوم للروبوت بشرى.. ويعدد مساوئها وهو في حالة هستيريا. وبمجرد أن رمقني عدل اللهجة : هاهي مرة أخرى تتمرد! صوبت الروبوت إليه نظرات حانقة : لم أر مثلك مولعا.. ولكن في تدبير المكائد. ثم تنحت جانبا وهي ترتجف، وانفجرت باكية.

وضعت يدي على كتفها برفق.. وصرت أهمس لها بكلام رقيق.. وأربت على ظهرها.. إلى أن استعادت الهدوء.. ومر الموقف بسلام..

سألت بشرى : ماذا حصل ؟ أطرقت برأسها.. لم أحتج إلى توضيح، لأني قد فهمت. أعرف أنها مرهفة الاحساس.. ولكنها تتمتع أيضا بمؤهلات فريدة، منها

تميز سلوكها بالكثير من اللباقة، مع المهارة في إنجاز الخدمات المنزلية، من كنس وطبخ ورد على الهاتف، وتعليم للأطفال.

مشكلة بشرى واحدة : الكمبيوتر. فبين الاثنين سوء تفاهم متجذر. ومصدره تباين البرمجة. فعكس بشرى، تتسم تصرفات الكمبيوتر بالواقعية، سيما وأنه المسؤول عن مراقبة ما يدور في البيت.. ولعل ما يزعجه كون بشرى تتشبه بالانسان أكثر من اللازم. ومن هنا كان لابد من حل.

وهكذا وقع الاختيار على اقتناء رفيق لبشرى، وفي جوفه كاسيت تمنحه خفة الروح، وموهبة التحرك خارج المنزل. حتى السيارة يسوقها ويسافر بها.

عزيز مطيع ينفذ كل ما يطلب منه.. يتوفر على ذكاء صناعي وأجهزة رصد بعيدة المدى، بحيث يمكنه القيام بدور الحارس الذي يميز بين أهل الدار والأجانب، ويستطيع المناورة والاختفاء والدفاع عن النفس.

أما بشرى فترى فيه أيضا كل معاني الطيبة والشفافية. مع ملامح جذابة وشخصية قوية. وصارت الابتسامة ترتسم على وجهها كلما حضر، فتقترب منه،

وقد يضعان يدا بيد، ثم يسيران معا في مشهد مثير، بينما يختلس النظر إليها من حين لآخر.

عندها يخرج الكمبيوتر عن صمته، ويسأل عما إذا كان في تصرفات هذا الثنائي الآلي ما يضير الأخلاق البشرية. إلا أن الأجوبة تتسم عادة بالرضا، لكون بشرى وعزيز منسجمين إلى أقصى حد، ينجزان أعمالهما بنشاط، وهما المبرمجان كي يجسدا ما كان الانسان فاعله لو كان آلة..

وإذا سافر عزيز، يسأل الكومبيوتر أكثر من مرة عما إذا كان غيابه أثر على خدمات بشرى، فيكون الرد بالايجاب، مع الاشارة إلى أنها تبدو شاردة وترتكب هفوات وأخطاء.. وتركز نصيحة الكمبيوتر على ضرورة تشديد المراقبة : فمن يدري، ربما يتطور الأمر إلى خلل يطرأ على بشرى، وقد يحاول غريب توجيهها من بعيد أو الايحاء إليها بالتمرد.

أدركت بشرى بحساسيتها المرهفة أن كل العيون تترصدها. لكنها تظاهرت بالجهل.

اقتربت من عزيز ذات مساء.. ولست أنسى هذا المشهد بالذات.. كان واقفا بباب المطبخ، عندما فاجأته، وتناولت يده ثم انسل معها إلى الداخل. وهناك

استرسلت معه في حديث هامس، وأومأ لها برأسه علامة الايجاب.. لم أفهم شيئا.. ولا حتى الكمبيوتر استطلع ما يتهيأ في الخفاء..

وفي الصباح وجدت رسالة مكتوب فيها : لا أمل في إصلاحكم.. لقد نفد صبرنا.. وها نحن راحلان.

عصفور الأشواق

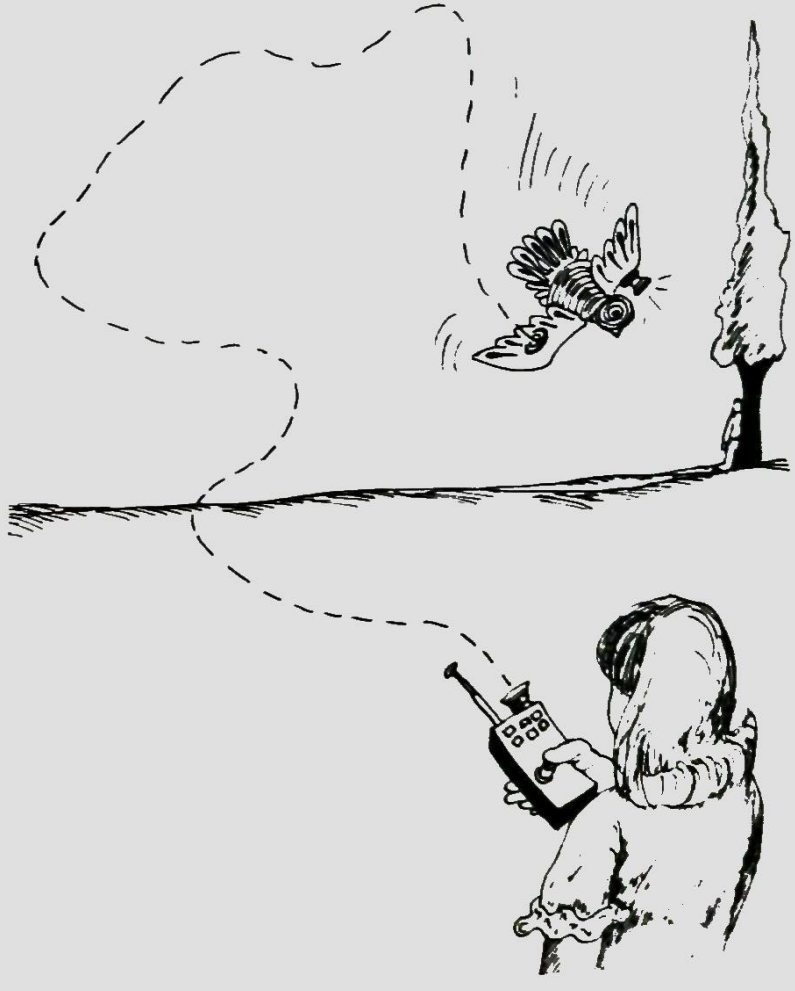

❀ انتفض واقفا وصوب إلينا نظرة مرفوقة بانحناءة وداع ثم انصرف. تتبعناه بحيرة وتساؤل. لم نجد تعليلا واضحا لهذا الاستعجال. قال واحد من الحضور : إن في نفسه حاجة..ورد آخر : بل إنه ذاهب إلى الشجرة..

لن نتركه وشأنه أبدا. فقد منحتنا الصداقة حق تبادل الأسرار، والاطلاع على ما يحاول طيه في أعماقه، سيما بعد أن وصلنا أنه يملك قلب الحسناء بنت الجيران..

كل صباح نرى حفيظة تعانق المحفظة، وتنطلق في طريق كلية العلوم، تنم مشيتها المستقيمة عن شخصية قوية وأنوثة متفتحة، يزيد في فتنتها شعر ينسدل على كتفيها، ولباس بسيط ولكنه أنيق، يفوح منه عطر خفيف، إلا أنه نفاذ. لا تبخل على أحد منا إذا التقت

العيون صدفة بتحية لطيفة، تتوجها ابتسامة حلوة من ثغر يفتر عن صفين من الأسنان اللامعة.

تحت شجرة الصفصاف، كانا على موعد. لقد بكر هذه المرة أيضا. «إنه قدري» : قالها بتسليم وإذعان. ثم تمدد تحت الظلال، وسافر بعينيه في زرقة السماء. تأملها طويلا وكأنه يراها لأول مرة. تذكر كلام حفيظة من أن السماء طبقات من الغازات وأن الزرقة وليدة النور.. هي مولعة بتلمس تفاسير علمية لكل ظواهر الطبيعة، وفي نفسها قناعة بأن المعرفة تضفي على الأشياء جمالا آخر.

فكر بعمق وهو يسرح في السماء. وعادت الشاعرية تلمع في عينيه. إن الزرقة أخاذة فعلا. وهذه أسراب الطيور تغدو جيئة وذهابا فتأسر اللب بتناسقها. وقاده الخيال إلى مشروع الحبيبة. فبعد أن أقامت في غرفتها، بايعاز من والديها، مختبرا صغيرا، تمكنت من إدخال تعديلات على عصفور صناعي، وأصبح في مستطاعها اطلاقه، ثم إعادته، على غرار الطائرات الموجهة آليا. وهاهي الآن تعتزم زرع كاميرا في الطير الصغير.

حفيظة تحلم بأن يكون عصفورها بمثابة عين متنقلة، تطلقه بأي اتجاه تريد، توجهه من بعيد، ثم تتلقى من

خلاله صورا حية، وأصواتا حقيقية للعالم الخارجي، بفضل جهاز استقبال وشاشة.

تأخر موعد قدوم المحبوبة. وبدأت الهواجس تدب إلى قلبه، فليس من عادتها التأخر عن المواعيد. والتمس لها في نفسه عذرا، وهو عشقها لعالمها التكنولوجي، الذي تتمنى أن يكون منطلقا لتجارب مثيرة، وحجتها في ذلك أن مجمل المخترعات العظيمة ذات الفضل في تغيير مجرى التاريخ، ظهرت من مختبرات فردية، وبمجهودات مغمورين قضوا حياتهم في مواجهة الأسلاك والقطع الخشبية والمعدنية والبلاستيك والمطاط، فكان الضوء والهاتف والتلكس والطائرات والأقمار.

شخص بعينيه من جديد إلى السماء. وأثاره عصفور ضل سربه. بدأ يلاحقه بنظراته. هاهو يقترب. ويختار شجرة الصفصاف محطة. وقفز إلى ذهنه عصفور المحبوبة. ليته يملك مؤهلات هذا الطير الماسك بثبات على الغصن. وليتها تنجح في تزويده بأجهزة سمعية بصرية كما تتمنى.. لكنه استبعد أن تقدر بمفردها على مثل هذا الانجاز، لأن مشروعا من هذا الحجم قد لا تحققه سوى مصانع ذات ميزانيات ضخمة وجيوش من المختصين.

أخذ يفرك يديه في قلق. أطلق زفرة وانتصب واقفا. ترى ماذا أصابها ؟ أدار وجهه في كل الاتجاهات يستطلع الآفاق. كل شيء ما زال في مكانه. الشمس. الشجرة. الظلال. وحتى العصفور. وعاد يجر قدميه، عابس الوجه، منكس الرأس.

وفي اليوم التالي كانت المفاجأة..

فقد عرضت حفيظة شريطا يظهره عند شجرة الصفصاف يعاني وينتظر..

فغر فاه وقد تذكر العصفور الذي كان على الغصن.. ثم صاح وهو يلوح بيديه ويكاد يطير من الفرح : هلا صنعت لي عصفورا مماثلا.. كي أراك بعينيه.. إذا غبت عني ؟

البرمائية الطائرة

التقينا صدفة على الشاطيء.. سألتني إن كنت من عشاق البحر.. قلت نعم.. وكيف أرى الأفق البعيد.. أجبت : نافذة على المجهول.. وارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها : هو أيضا رمز للمستقبل.. للجديد الآتي عبر مخاض العدم.. الجديد الذي سيهب الحياة نفسا يبعدها عن الروتين.. ويدفعها نحو معالم أيام قادمة نتخيلها مزدانة بالورود..

كبرت في عيني.. ذكرت لها بأن حقائق اليوم لا شك أغرب من خيالات الماضي.. وردت بأن ما هو آت قد لا يخطر على بال.. إنها سُنة الحياة.. سيما وقد دخلنا مرحلة التسلق السريع لسلالم التطور..

أومأت إلي بالجلوس.. لكم هي جذابة.. عشرينية باهرة الأنوثة.. مشرقة ذكاء وطموحا.. قالت : إنني أحس بعجلة التاريخ تدور.. لم أشك قط في صدق

تعبيرها.. أجبتها بأن أيامنا غيرها في الأزمنة الماضية.. فقد تقلص الوقت.. وهزمت اللحظة أمام مقدرة الانسان..

لاحظت الرضا في عينيها، وأصابعها تعبث بالرمل، فيما بصرها معلق بالأفق، وكأنها تستطلع ما يخفي..

ـ أنت فتاة مستقبلية..

ـ بل أيضا من الحاضر.. وهاك الدليل..

نفضت يديها.. وراحت سبابة يمناها تضغط على أزرار جهاز دقيق بمعصمها الأيسر على شكل ساعة يد.. وسرعان ما أخذ الزورق يتحرك باتجاهنا.. وبادرتني.. هيا نركب الزورق.. فلأفضل ألف مرة أن نحاط بالزرقة من أن نراها من زاوية واحدة..

لم أكن أعلم أنها مجنونة بالبحر.. وأنها بين الأمواج لا تكل ولا تمل وكأنها سمكة.. جلسنا جنبا إلى جنب.. وبعد حين لمعت في ذهنها فكرة.. مدت سبابتها إلى جهاز المعصم.. وعندها أرخى الزورق حولنا ألواحا.. فأصبحنا معا داخل بيت عائم.. سألتني إن كنت أريد شيئا.. قلت ما تريدين..

ـ هل بك رغبة إلى أكلة ؟

ـ أجل..

ـ ماذا تطلب ؟

ـ سمكة..

وانطلقت سبابتها تتراقص مرة أخرى على لوحة جهاز المعصم، في حركة رشيقة.

وجاء الجواب : الصياد الآلي رهن الاشارة.. ففي شباك الزورق أصناف طرية من الأسماك..

ـ ماذا تختار ؟

ـ ما تشتهين..

وفي دقائق معدودة كان الروبوت قد أعد المائدة.. قلت لها وأنا أرقب الآلة العجيبة التي تحيط بذلك المعصم البض وكأنها خاتم سليمان : أريد أن أسافر ببصري إلى أبعد من حدود الرؤية..

ـ وأين بالذات ؟

ـ إلى أعماق البحر..

ضغطت على الأزرار.. وما هي إلا ثوان حتى كان الزورق ينزل بنا إلى أسفل.. والتهوية تأتينا بطريقة آلية..

ـ ها نحن في الأعماق..

ـ وفي عالم آخر..

ـ وحاضر جديد..

مرة أخرى وبفعل أزرارها السحرية بدأت الغواصة الصغيرة تشق سبيلها إلى السطح.. ثم تستعيد شكل زورق بعد أن طوت حيطانها.. وصرنا من جديد نرى

السماء.. ولكنها ما لبثت أن سألتني إن كنت أريد أن أنظر الى البحر من فوق.. ابتسمت وقد أذهلتني المفاجأة : أهي طائرة أيضا ؟ إن أمرها لعجيب حقا.. بل اريدها في شكل سيارة..

وما أنهيت كلامي حتى كانت السفينة تعود بنا في اتجاه الشاطىء.. ثم تقتحم الرمال.. إنها سيارة.. وتواصل الرحلة.. ها قد وصلنا..

دعتني مضيفتي للنزول.. سألتها : ومتى نلتقي ؟ سكتت فيما شرعت سبابتها تعبث بالأزرار.. وبعد هنيهة رفعت بصرها : آسفة.. دماغ البرمائية الطائرة لا ينصحني بك رفيقا..

لم أستطع أن أحبس ضحكة عالية:

- انه غيور.. فلا تتوقعي منه نصيحة سليمة.. وأولى بك أن تسألي قلبك.. هو وحده سيقول الحقيقة..

- لقد باعدت بيننا الأذواق.

- ولكن.. جمعت بيننا الفلسفة.. أليس كذلك ؟

- بلى.. غير أن السعادة تكمن في تناسق الأذواق..

- بل السعادة أيضا فلسفة..

- ها قد اختلفنا.

- الاختلاف فضيلة.. انه تنوع في الرأي.. والتنوع ثراء للحوار.. والحوار منطلق التفاهم.. والتفاهم نهاية..

- وماذا تريد ؟

- البداية..

- وما البداية ؟

- أن نبقى معا..

- هيا.. اركب..

- وأين نذهب ؟

- إلى البحر..

- ولم البحر ؟

- هناك أسكن..

- وأين بالتحديد ؟

- داخل البرمائية الطائرة..

الإنسان الطائر

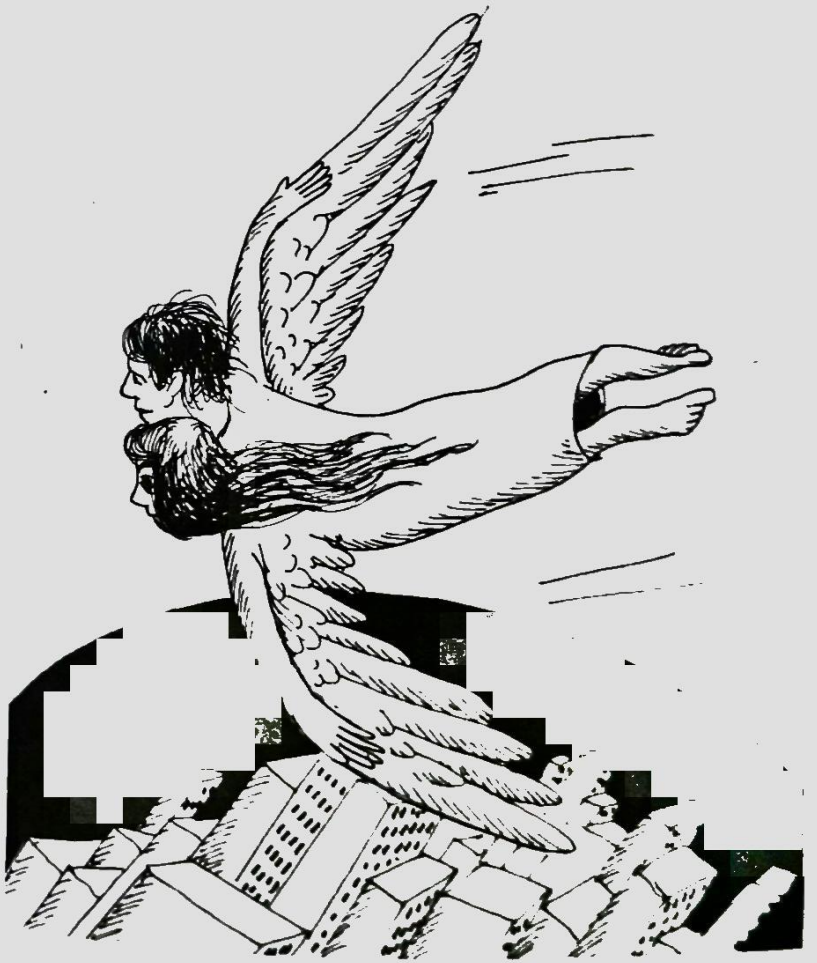

❀ تعالي يا رشيدة نركب الريح..

تعالي نطير كعصفورين في سماء المدينة، ننشد أشعار العالم المثالي، أشعار المحبة الخالصة، والاحترام المتبادل والسلام البناء.. هذا عالم طالما حرك خيالات عباقرة الأزمان الغابرة، فتصورته ثمرة ناضجة لشجرة الحياة، وخلاصة وردية لمسيرة عمارة الأرض..

هل تذكرين آخر مرة طرنا فيها معا؟ كان اليوم جمعة.. ركب كل منا طائرته البلاستيكية، واقتحمنا الرياح في الاتجاه العمودي، ثم دخلنا شبكة منظمة من الخطوط، كشوارعنا على الأرض.. كنت تزغردين نشوة، وكأنك عصفور يغرد مرددا أنشودة الحب في سماء المدينة الفاضلة.

لا أنسى تلك اللحظات الخالدة.. ولا عندما همست في أذنيك عبر جهاز الراديو : السماء فسيحة الأرجاء..

فاجئتني : انها تذكرني باللاناهية.. وهذه ترعبني..
اللانهاية ترعبك ؟ أدركت على الفور بأنك ذات حساسية خاصة بما حولك.. سألتك : وإلى أين المفر ؟ هل تذكرين يا رشيدة بم أجبتني ؟ لقد رددت بثقة نفس : الحل هو تلمس النهاية.. إنه العودة الى داخل جدران أربعة..

لم أفهم ما كنت تعنين.. ضحكت يا رشيدة برقة ولباقة.. وقلت لي : لا تكن أكبر من عقلك.. ثم استطردت : لكل فكر حدود.. ومن يتجاوز ما يطيق يتيه وقد يجد صعوبة في اكتشاف طريق العودة إلى الواقع.. ها أنذا أحد نفسي بسياج فكري وعقائدي ومعاشي.. فداخل الحدود يقيس المرء مقامه.. إن حدودك لباسك.. فالبس حدودك!

واسترسلت ضحكاتك الحلوة ترن في أذني وتلهب حماسي لمعرفة ما تقصدين.. ولكنك لم تفسحي لي مجالا.. إذ سرعان ما أمرتني : هيا ننزل بأقرب محطة، للتزود بالأقراص..

توقفنا فوق سطح عمارة.. محطة طبيعية لتوقف الطائرات الفردية.. واستخدمنا المصعد للنزول إلى الطابق السبعين، حيث اقتنينا مستلزماتنا.. وطلبت منك

أن تركبي معي وتأمري طائرتك بملاحقتنا.. فقبلت مبتهجة.. جلست إلى جانبي في مشهد شاعري.. وصرت تناولينني قطع الحلوى المشبعة بالمقويات.. فيما كانت طائرتك الجميلة الصغيرة تتبعنا بتوجيه آلي..

قلت لي فجأة : هيا نطارد تلك السحابة الطائشة! وعندما اقتربنا منها أدركنا بأنها ليست وحدها راحلة.. كانت ذراتها الخلفية تجر موكبا من السحب البعيدة.. ابتسمت وقلت لي : لا وجود لشيء مستقل في هذا الكون.. فكل ما يبدو منفردا ما هو سوى حلقة في سلسلة طويلة..

وأجبتك بأنها مثل الأفكار، ظاهرها يوحي بأن لها كيانا مستقلا.. وفي عمقها ليست سوى ثمرة، ولدت بفضل ما سبقها، وعليها أن تقوم بإخصاب العقول من أجل ميلاد أفكار جديدة.. لا شيء في حد ذاته بداية أو نهاية.. كلنا حلقة.. لنا دور معين.. ننجزه سلبا أو إيجابا.. ثم ننصرف..

– نحن حلقة؟ هذا يعني الكثير..

– كيف يا رشيدة؟

– أكاد أصاب بالهبل.. اللانهاية ترعبني.. أنا حلقة في عوالم لاحصر لها.. وبدل التوصل إلى ربط منطقي

لما ارى افقد المنطق وأتيه.. في اللانهاية..
ـ فسبحان الذي يربط بين كل شيء..
ـ نعم.. لكل فكر حدود..
امضينا يوما خياليا..
ليتك تتنكرينه جيدا.. بل ليتك تستمدين منه شحنة تلفظ الجفاء من قلبك..

فتعالى يا رشيدة.. إنني لم أفقد الأمل.. أريدك عصفورا إلى جانبي، نغترف من الأجواء أصنافا أخرى من العبر.. لقد تعلمنا ذلك اليوم بفضل مدرسة الأجواء كيف أن طموح الانسان يمتد الى ما لا نهاية، يعانق المجهول.. ثم يعود إلى نطاق مؤهلاته، لاستهلاك حصيلة المشاهدات، والتأهب لرحلات استكشافية جديدة.. هذا هو الانسان.. إنه هنا وهناك.. داخل السياج وخارجه.. ولكنه لا يحس نفسه سوى داخل نفسه..

تعالي يا رشيدة نطل على المدينة من فوق.. هيهات.. لا أمل.. أعرف أن هذا نداء يائس.. وأن رحلة الأجواء الخالدة قد لا تتجدد..
ليس لأنك تخشين اللانهاية..

بل لسبب آخر : انضمامك لجمعية مناونة..
جمعية دعاة المشي على الأقدام..

البكتيريا في خدمة النظافة

❀ ثلاثة.. اثنان.. واحد.. صفر!

وأطلقت ليلى القذيفة.. ها هي تصيب الهدف.. لكن ملامحها لا تعكس الرضا.. التفت إليها نبيل مبتسما : أضقت يا ليلى ذرعا بهذه المهمة الشريفة؟ مهمة تطهير الغلاف الجوي للأرض من النفايات.. لعلك لا تنسين بأنك مساهمة كبيرة في العمل على سلامة البيئة.

قالت بارتياح : إنك تطيب خاطري بهذه المجاملة اللطيفة..

ورد نبيل على الفور : بل هذا اعتراف بالحقيقة.. تصوري الأجواء بدون كاسحات النفايات.. هل تعرفين ماذا ينجم عن هذا الوضع ؟ تراكم الفضلات من كل الأشكال والأصناف بالطبقات الجوية للأرض.. أليس كذلك ؟ وهذا يعني حدوث اضطرابات في أحوال

الطقس.. وأكثر من ذلك عجز الغلاف الجوي عن حجز الحضير من أشعة الشمس (4) .. إن دورك يا ليلى مساهمة إيجابية في استمرار النشاط الحضاري..

ـ ها أنت يا نبيل ترفع من معنويتي.. أنا محظوظة فعلا لوجودك إلى جانبي في هذه الرحلة.. وأحمد الله على أنها لا تشبه سابقة عمرت زهاء شهرين.. كان ذلك على متن واحدة من الكاسحات.. لقد كدت يومها أفجر.. فقد ابتليت برفيق نمام وروبوت وقح الطبع..

ـ هاهاها..

أدارت ليلى وجهها.. كان من يضحك هو روبوت الرحلة.. والتفتت إلى نبيل : أعوذ بالله منهم.. فمنذ حكمناهم في مصيرنا، وهم يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.. إنهم مزعجون!

ضحك نبيل وهو يربت على كتفها.. ثم أشار إلى الروبوت يسأله : ما الجديد عن الهدف؟

أجاب : حسب ما يصلنا من صور، فإن السحابة تتكون من غاز ثاني أوكسيد الكربون وذارت الزيت والبترول.. وهاهي الآن تتفتت بشكل واضح بعد أن داهمتها البكتيريا..

وتدخلت ليلى : وماذا تعرف عن البكتيريا؟

ـ كائن دقيق جدا.. تمكن العلم الحديث من إدخال تعديل على خليته الوحيدة، مما انقلبت معه ميوله رأسا على عقب.. فبدلا من الاقبال على الماء، ينفر منه، ويقتصر على امتصاص المواد الكيماوية والنفايات.. وهكذا أصبحت البكتيريا وسيلة فعالة لتنظيف البحار والأجواء من التلوث.. ولا عجب أن تحمل القذيفة التي أطلقت منذ قليل على سحابة ملوثة اسم : قذيفة البكتيريا..

ضحكت ليلى بأعلى صوتها : أسمعت يا نبيل ؟ ألم أقل لك إنه مغرور وبليد ؟ فبدل إجابتي عن سؤالي، يعطيني درسا في أمور تعتبر من البديهيات..

الروبوت : وماذا تريد ليلى أن تعرف ؟

ـ ما تفعله البكتيريا في هذه اللحظات بالسحابة السوداء..

ـ تواصل التهامها بنهم شديد...

قاطعه نبيل : سطوب.. وأرجو أن تخبرنا حال انتهاء الوليمة.. أما أنت يا ليلى فاتصلي بالكاسحة 48.

كانت هذه الأخيرة تواصل رحلتها كمختبر لتنظيف الجو، ضمن شبكة تطلق البكتيريا على السحب السوداء، فتقوم بالتهام النفايات، وتحويلها في أحشائها

إلى مواد نافعة، تصلح لخدمات صناعية متنوعة..

- الكاسحة 48 ؟ هنا 37.. نحن رهن إشارتكم لأية خدمة.. لقد أصبنا آخر هدف ضمن الرقعة الجوية الموكول إلينا تطهيرها.. وما زال بحوزتنا عشر قذائف بكتيريا..

الجواب : شكرا.. لسنا في حاجة لمساعدة.

- وأدار نبيل وجهه صوب ليلى : ها قد أنهينا مهمتنا.. ويبقى أن نتوصل بإذن للنزول.

تلقت النبأ منشرحة الصدر.. ولكن الروبوت لم يوافق : نحن مبرمجون لرحلة شهر، لا لعشرين يوما.

- بل أنت وحدك المبرمج.. لأنك مجرد آلة.. أما نحن فمن لحم ودم..

- نعم ياليلى.. ولكن...

- اخرس ياروبوت! نبيل.. أتسمح لعديم الاحساس هذا بقمع كائن بشري؟

- لا.. لا.. اصبري يا ليلى.. وأنت يا ربوت : ما الجديد في موضوع السحابة؟

- لقد اختفت.. البكتيريا ابتلعتها عن آخرها.

- حسنا.. ادخل إلى غرفتك.. والزم الصمت!

دخل الروبوت صاغرا.. في حين أدار نبيل قرص الاتصال بالمحطة الأرضية : لقد أنهينا مهمتنا قبل المهلة المحددة.. فهل نعود؟

- لا.. توجهوا إلى الكاسحة 53.. إنها في حاجة إليكم.. سطوب!

فغرت ليلى فاها من هول المفاجأة.. سألت عمن أصدر هذه التعليمات.. ورد نبيل بنفاد صبر : إنه روبوت!

وعندما رأى دمعة تنحدر على خدها، استطرد مواسيا : هذا قدرنا يا ليلى!

مسحت الدمعة وردت :

إنه قدر كل مجتمع بشري وضع مصيره في قبضة الروبوت..

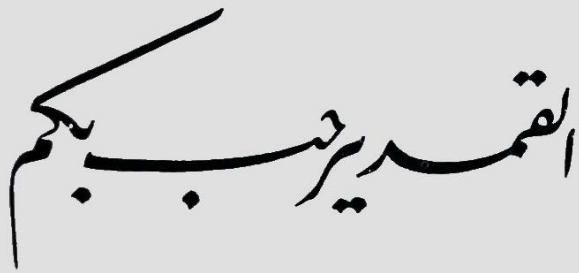

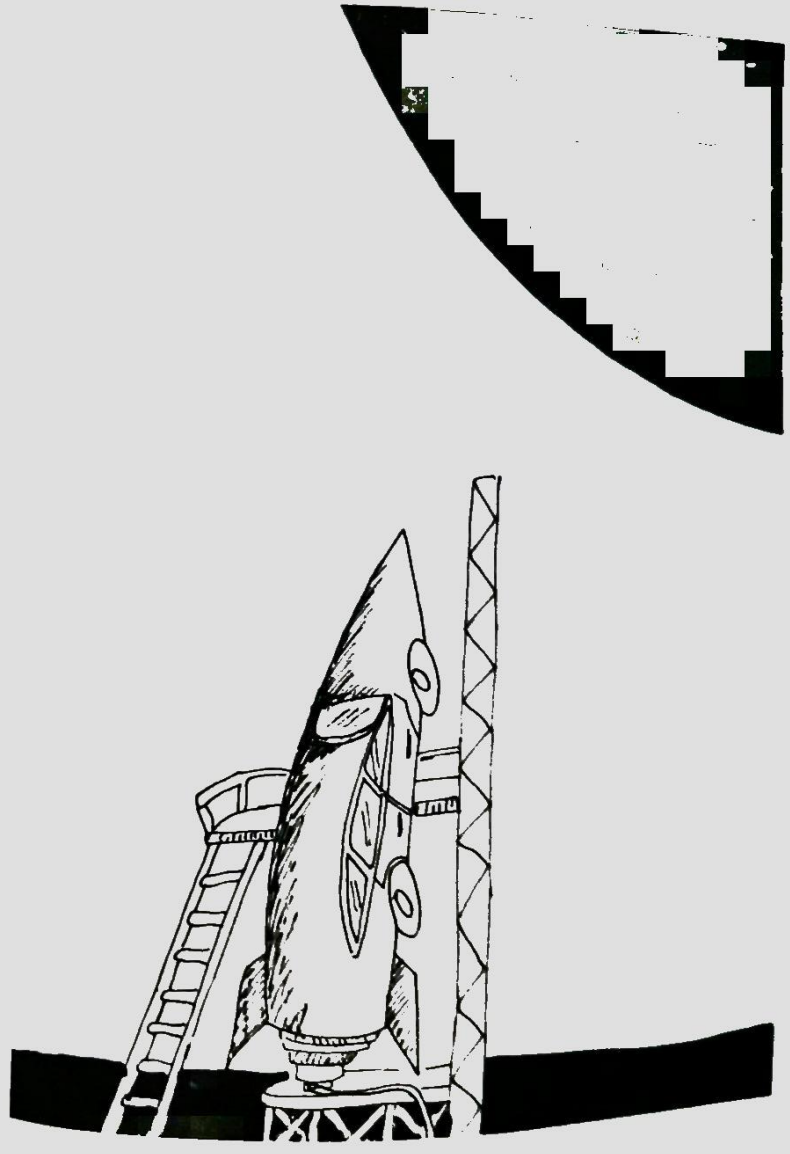

❀ القمر يرحب بكم. قالها الأب مبتسما. ورد عليه الحاضرون بضحكة جماعية. أكد لهم بأن الأسرة ستقضي أربعة أشهر كاملة فوق سطح القمر في ضيافة مؤسسة السياحة.

ومع فرحة الجميع، وتهاني الضيوف، ذكر الأب بأن عصر السفر الأسري إلى القمر يتوج المجهود البشري لعشرات القرون.. فلقد كان الانسان أول عهده بالحياة المنظمة يشتغل جل الأوقات، ثم تطورت الأضواع فأصبحت العطلة السنوية للمستخدم في حدود ثلاثة أسابيع، ثم شهر فشهرين.. وهاهو اليوم يتمتع بعطلة سنوية مقدارها ستة أشهر، بعد أن تمكن الانسان من استغلال الآلة على نطاق واسع.

وأدار الأب وجهه صوب الزوجة والبنت والابن، فقال بلهجة آمرة : أعدوا أنفسكم لتحقيق حلم الأجداد

والسفر إلى تابع الأرض الذي طالما ألهم الشعراء.

وابتسمت الزوجة : كل شيء جاهز للقيام بهذه السفرة الفضائية..

واستطرد الابن، ربان الرحلة : العد العكسي يتواصل على متن طاكسي الفضاء الجاثمة على منصة نادي الحي. وسيكون الموعد مع الاقلاع صباح الغد.

وجوابا على سؤال، رد الابن بأن الرحلة ستستغرق حوالي شهر. وتمكث الأسرة هناك أربعة أشهر، قبل أن تعود إلى الأرض في ظرف شهر.

يعم الارتياح الجميع.. وتأخذ البنت الكلمة : ستة أشهر رهن إشارتنا؟ إنها خاصية هذا الزمن، حيث تتوفر جل الأسر على سيارة صاروخ، تقضي بها عطلة نهاية الأسبوع بالمحطات الفضائية المقامة خارج الغلاف الجوي للأرض.

ويرد الابن : ومع ذلك فنحن أقل حظا من بعض الناس، الذين تسمح إمكاناتهم بأن يستقلوا بساط الضوء للرحلة إلي زحل أو المشتري.

لكن الأم تقاطعه : اطمئن، فسيأتي اليوم الذي يكون فيه بوسع أية أسرة أن تملك بساطها الضوئي، فقد اكد التاريخ بأنه لا نهاية للتقدم.

ويتدخل أحد الضيوف : عندها سيكون الانسان قد تغلب على الكثير من صعاب اليوم، لأنه حتما سيبتكر أسلوبا حياتيا جديدا، يختلف كلية عن ممارساتنا الحالية.

ثم يسأل الضيف عن زاد الرحلة، فيجيب الأب : إننا سنعتمد الأقراص طعاما لنا، ونتسلح بمسدسات رادعة كوسيلة دفاعية ضد وحوش الفضاء من نيازك وغبار كوني.

ويسأل الضيف عن الجانب الترفيهي للرحلة، فيرد الأب : سنعتمد كأسلوب للترفيه ما تمنحه الغرف الواسعة لطاكسي الفضاء من فرص رياضية، وما بداخلها من أجهزة علمية متنوعة، تجعلنا على اتصال بأنباء الأرض، وأخبار الأهل والأصحاب، وتمكن الثقافة من مرافقتنا ذهابا وإيابا.

ويتوجه الضيف بسؤال إلى ربان الرحلة، يتعلق بالجانب التقني.. ويقول الشاب : إن طاكسي الفضاء ستنطلق بنا في شكل صاروخ يتحول بعد اختراقنا للغلاف الجوي إلى سيارة شراعية تنقلنا إلى القمر باستخدام اللوائح الضوئية (6) كمصدر للطاقة، مع مراعاة جاذبيات الأرض والقمر والشمس.

ويرن الجرس في هذه اللحظة، فيضغط الأب على جهاز الاتصال. ويشاهد المذيع يقرأ بيانا عاجلا : الخط 839 الرابط بين الأرض والقمر مقطوع عند المحطة الفضائية رقم 48، بسبب اصطدام وقع منذ قليل بين قافلة عائدة وأخرى ذاهبة، ومع استحالة استخدام هذا الخط قبل ثلاثة أشهر، تم وقف العد التنازلي بكل السيارات الفضائية المعنية.

ويضغط الأب على زر الاتصال بدماغ السيارة الفضائية الواقفة على منصة الاقلاع، فيأتي الجواب اليائس : الانطلاقة ممكنة ولكن.. بعد ثلاثة أشهر..

وفي اليوم التالي كانت الأسرة راكبة غواصتها الخاصة، لقضاء العطلة بأحد المخيمات المقامة في أعماق المحيطات.

من أجل ثقب أسود

أطل الرئيس من نافذة المركبة. فبدت له صفحة الكون سوداء يتخللها لمعان ملايين النجوم. أدار وجهه صوب لوحة القيادة.حدق فيها وصاح فجأة.. «يا روبرت اثنين، انتبه !»

أجال الروبوت 2 ببصره يبحث. تدخل الروبوت 3 وزميله 4. وتم إصلاح الخلل..

استوى الروبوت 2 في جلسته. رفع بصره إلى الرئيس وسأله : هل تعتقد بأننا سنكتشف ثقبا أسود (7) ؟ أجاب : نعـــم .

- المعاينة لم تعد مستحيلة. لكن أية مغامرة باتجاه الثقب الأسود ستقودنا حتما إلى النهاية .

- ولم لا ؟ ألم نرسل إلى هنا من أجل التعرف على ثقب أسود، ولو كلفنا ذلك وجودنا ؟

- بصراحة : أنا أرفض الانتحار .

- ايها العنيد. تمردك يعني أمرا واحدا، هو أن الهبل اصابك. وبموجب قانون الرحلة، أقطع عنك التيار. سطوب .

تسلم الرئيس بنفسه كرسي القيادة، فيما بادر رفيقاه بنقل الروبوت 2 إلى مؤخرة المركبة. حاول الروبوت 3 أن يطيب خاطر الرئيس، لكن هذا الأخير سأله عما إذا كان مستعدا للتضحية من أجل تحقيق حلم الانسان وهو تحديد موقع ثقب أسود .

سكت الروبوت 3. ألح الرئيس. عبثا. ولما لاحظ الروبوت 3 الغضب على وجه رئيسه، سأل في خجل : وما هو الثقب الأسود ؟ عندها رد الرئيس بنفاد صبر : تبدو ناقص الدراية. هاه.. خذ مكانك إلى جوار الروبوت2.. سطوب .

أدار الرئيس وجهه صوب الروبوت 4 وقال له بحزم : بقاؤك معي رهين بإجابتك على السؤال : ما هو الثقب الأسود ؟

4 - هو بقايا نجم قد يكبر حجم الشمس (٨) بملايين المرات.. فعندما يستنفد مع الزمن كل طاقته، يحدث انفجارا في غلافه الغازي، وتشيع أخباره في طول السماوات وعرضها، وهي الظاهرة التي تعرف

باسم (سوبير نوفا supernova)، وتعني أن نجما كبيرا قد مات .

1 - حسنا.. اكمل ..

4 - بعد هذا الانفجار، تصبح نواة النجم ذات جاذبية خيالية تقتنص الأجسام القريبة، وتديرها في فلكها، قبل أن تبتلعها إلى الأبد.. هذا هو الثقب الأسود ..

1 - ثم ماذا ؟

4 - قد يكون الضحية نجما صغيرا كالشمس مثلا.. إذا شرع الثقب الأسود في جذبه، استغاث المأسور بإطلاق إشعاعات سينية وفوق بنفسجية... هذا الصراخ يخترق الآفاق ويصل إلى كل مكان.. لكنه سرعان ما ينقطع.. لأن النجم يكون قد اختفى.. لقد ابتلعه الثقب الأسود ..

1 - وأي مصير ينتظرنا ؟

4 - عندما نحس بأن سرعة سفينتنا تزداد بشكل ملحوظ، سنكون قد تجاوزنا الحدود، وأخذنا مدارا حلزونيا يدفعنا وجبة شهية للثقب الأسود .

1 - يا إلهي ما أغباني !!

ع ـ من أجل الانسان كل شيء يهون !؟ أليس كذلك ؟

ا ـ إنك تهذي .

ع ـ أليس هذا اقتناعك ؟

ا ـ لا لا لا

ع ـ تبدو خائفا

ا ـ با أريد العودة !

ع ـ إلى أين ؟

ا ـ إلى الأرض

ع ـ وأين هي ؟

تصدير الحضارة

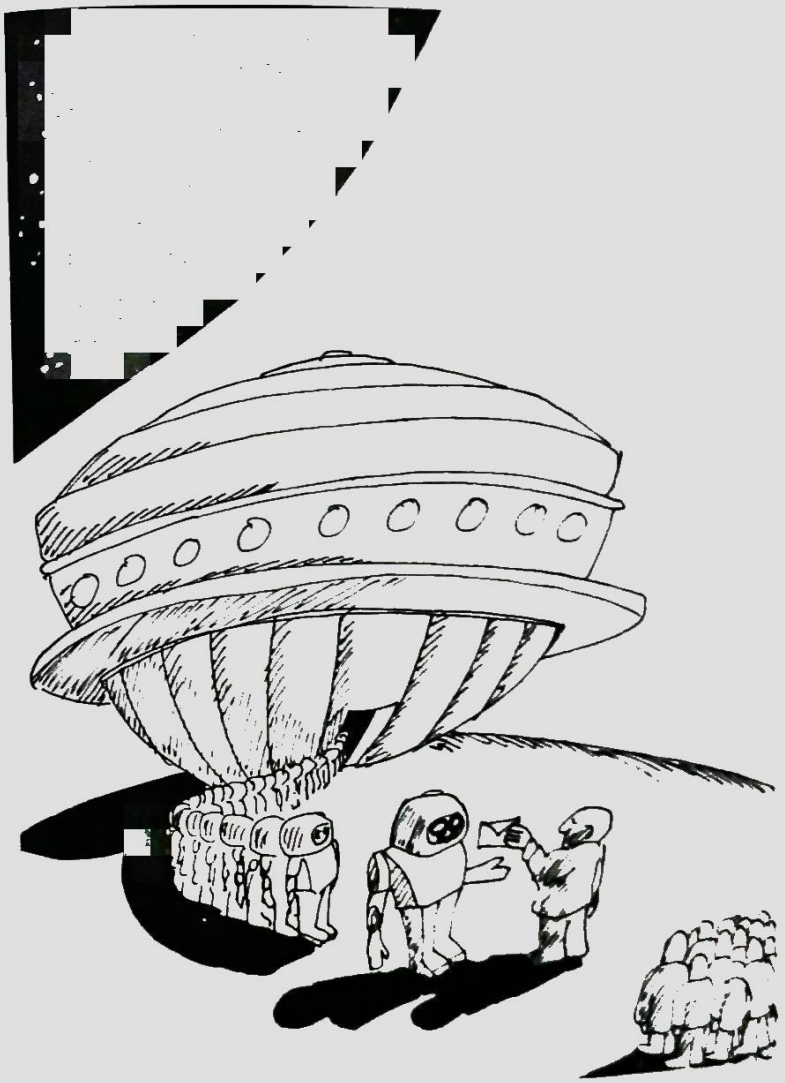

❀ أشار إلى واحد منهم.. فأقبل يعدو.. أدى التحية.. وتلقى التعليمات.. ثم انسحب.. نظر القائد في الساعة.. الوقت لا يرحم.. فبعد لحظات تبدأ مراسيم توديع أول فوج بشري لتصدير حضارة الأرض إلى ما وراء المجموعة الشمسية.. أدار رأسه صوب الرجال الآليين.. كانوا مصطفين بانضباط.. وحانت منه التفاتة إلى المركبات الجاثمة على منصة الاقلاع، فابتسم : أتمنى لكم «نوما» لذيذا أيها الرفاق!

قلب يده ينظر ثانية في الساعة.. لقد حان الوقت.. عاد الروبوت وفي يده خريطة.. تسلمها القائد.. وها هي طليعة الموكب الرسمي قادمة.. أعطى القائد إشارة لرجاله.. فرفعوا أياديهم تحية لممثلي شعوب الأرض..

أخذت أعناق الجماهير تشرئب لرؤية ما يجري على الساحة.. فيما رجال آليون ينظمون الحركة

ويسهرون على الأمن.. وآليون آخرون يتزاحمون لتسجيل الحدث.. إنهم المصورون الصحفيون.. حتى المتفرجون يوجد من بينهم بعض الآليين.. جنبات الساحة مكتظة.. وكأن كل أهالي العالم حاضرون لمعاينة الحدث الفريد من نوعه في التاريخ البشري..

تناول قائد الرحلة الكلمة: نحن الرجال الآليين نحيى فيكم شعوب العالم قاطبة.. ولا ننتظر منكم معشر ممثلي الشعوب سوى الاذن للصعود إلى هذه المركبات العملاقة، والانطلاق بها حاملين رسالة الأرض إلى كوكب «باكس» (9).. على متن المركبات، وعددها مائة، يوجد ألف من المتطوعين في مقتبل العمر - نصفهم إناث - هم من الشريحة الخيرة لشباب اليوم.. تطوعوا ليكونوا فاتحي الحضارة الانسانية بذلك الكوكب البعيد.. رحلتنا إلى «باكس» ستأخذ منا زهاء خمسين عاما.. وعلى امتداد هذه السنوات سنكون نحن الآليين يقظين.. ورهن إشارة الأرض لاحاطتكم علما بما يستجد من أنباء المغامرة الكونية.. هذه خريطة بيدي سترشدنا للطريق الفضائي الأمثل إلى ذلك الكوكب البعيد.. ولعلها ترشد من يعمره خلال القرون المقبلة لطريق العودة إلى الأرض.. عسى أن يتجدد الاتصال بين

الأحباب.. ويتم التعاون بين الأرض و«باكس».. وهما كوكبان متشابهان إلى أقصى الحدود.. المتطوعون الشباب يوجدون حاليا في نوم عميق.. إنه الموت الصناعي.. فلقد تم التجميد الاختياري لأجسامهم في ثلاجات لدرجة الصفر المطلق (10)، كي يجري تعطيل وظائفهم وإحساسهم بالحياة والزمن وحاجتهم إلى الغذاء.. وعندما نصل إلى هناك سنبادر نحن الآليين إلى التسخين العضوي للأجسام الشابة، كي تستعيد حياتها.. وتدرك أن عمرها لم يبارح العشرين عاما التي كانت لها على الأرض.. بيد أن هؤلاء الشباب لن يتذكروا لدى استيقاظهم شيئا.. لأن كل تجاربهم الأرضية تكون قد انمحت.. ولابد من إعادة تصنيع هذه التجارب. وتلك مهمتنا نحن الروبوت.. سنذكر كلا منهم بأنه تطوع لنقل حضارة الأرض إلى الكوكب.. وأن كل فتاة تطوعت لتكون إلى جانب كل فتى في العالم الجديد.. وأنها تحبه ويحبها.. وكلاهما اتفقا على الزواج بمجرد الوصول إلى «باكس».. لانجاب بنات وبنين لعمارة الكوكب وتجسيد الحضارة المستوردة.. وسوف نذكرهم بأن بين الناس علاقة اسمها التفاهم والمحبة والتعاون.. وأن في حياتهم شيئا ساميا هو العلم.. وهذا أيضا نورثا

نحن الروبوت.. فنحن من سيعلم هذه الطليعة من فاتحي الكواكب.. سنخبر الشباب من أين جاؤوا.. ولماذا قدموا إلى «باكس».. ونطلعهم على أن الكون مجموعة كواكب ونجوم تخضع كلها لنظام واحد نلاحظه في أدق حجم كالذرة والخلية.. كما يتجلى في أضخم شيء وهو النجم.. وأن بين هذا وذاك مخلوقات متحركة نشيطة، لكل منها دور معين.. سنعلمهم كل هذا.. ولكن عليهم أن يتعلموا الباقي بأنفسهم.. أن يكتشفوا سر كل هذا النظام الكوني.. ومن تراه أقامه.. ولأية غاية.. ولا نحسب أنهم سيعجزون.. لان الجواب مسجل في كل قلب.. كل دماغ.. كل ذرة.. كل شيء.. وما على البصائر إلا أن تتفتح لتلمس السر العظيم!

تقدم رئيس اتحاد شعوب الأرض من الروبوت.. صافحه بحرارة.. وقال: باسم كل الشعوب نحيي هذه القافلة.. نحيي أزواجها.. النائمين اليوم.. المستيقظين غدا.. ونحيي الرجال الآليين الساهرين على هذه الرحلة.. إنهم أشداء.. فلقد تم صنعهم بمواد صلبة.. وهم قادرون على أن يعيشوا ألف سنة.. تماما مثل المركبات وباقي الادمغة الآلية الصغيرة، التي ستستخدمها شبابنا هناك لمهام متنوعة.. حتى الألبسة

المتوفرة لصانعي حضارة «باكس» قادرة على مقاومة كل أحوال الطقس والتكيف مع كل القياسات.. وتوجد على متن هذه المركبات المتأهبة للانطلاق كميات من الأقراص تضمن لهم ولأحفادهم نعمة ألف عام.. وبرفقتهم أيضا آلات تصنع الماء الصالح للشرب من هواء ذلك الكوكب.. نتمنى للقافلة الحضارية رحلة مظفرة..

تبادل الآليون وممثلو شعوب الأرض تحية الوداع.. التحق الروبوت بمركباتهم، أمام أنظار قائدهم..

وبخطى ثابتة توجه القائد إلى السلم.. رفع يده راسما بأصابعه علامة النصر.. ثم صعد إلى المركبة تحت التصفيقات الحارة وأمام عدسات التصوير..

ها هو موكب الفتح يغيب في الأجواء..

ملحق

(1) الاستنبات أو الاستنساخ : لفظة تحمل اسما آخر هو التخليق المتجانس.. جاء فى موسوعة الهدف 2.000، صفحة 2081، من المجلد 11، ما يلى:

«ترى هل سيأتى يوم تطبق فيه طريقة التخليق المتجانس على الانسان ؟ وهل سيقدر لنا أن نشاهد التوالد المرعب لأفراد متماثلين تمام التماثل ؟

لعل طريقة التوالد فى المستقبل، هى طريقة التخليق المتجانس، وهى التى تسمح بإنتاج نماذج من الكائنات الحية، متماثلة تماما من الناحية الوراثية، وإن ظلت محتفظة بشخصياتها الفردية، ابتداء من خلية واحدة ناضجة.

ان نظرية التخليق المتجانس هذه، وقد تمت صحتها نظريا، سبق ان طبقت على كثير من الخضروات. وعلى نوع حيوانى على الأقل هو الضفدعة. وتستند النظرية الى المبدأ الآتى:

ان كل خلية فى جهاز حى، مهما كانت درجة تخصصها، تشتمل على كل الطاقات اللازمة لتكاثر الجهاز بأكمله، وهذه الكلية فى الطاقة، يمكن ملاحظتها فى الطبيعة لدى بعض الأنواع

الحيوانية مثل نجمة البحر. التي تستطيع أن تجدد جسمها ابتداءا من أي جزء منه».

(2) يقطع الضوء 299.793 كيلومتر في الثانية الواحدة. يصل ضوء الشمس إلى الأرض في ظرف 8 دقائق وثلث دقيقة. السّنة الضوئية محددة في 9.461 مليار من الكيلومترات.

(3) في الكون ما لا يحصى من المجرات Galaxies ومجرتنا (درب التبانة Voie Lactée) تحتضن ما بين 100 الى 200 مليار نجم. لاشك بينها نجوم بعائلات كوكبية بعضها به حضارات. الحسابات الفلكية تشير لوجود حوالي مليون حضارة جد متقدمة في مجرتنا وحدها. ويبلغ قطر هذه المجرة حوالي 100 الف سنة ضوئية.

(4) يتركب الغلاف الجوي للأرض من عدة طبقات تمتص الاشعة السينية والفوق بنفسجية. ولا تسمح بعبور سوى النسبة التي تفد الأرض. وتسمح باستمرار الحياة.

(5) كتب د. عبد المحسن صالح في مجلة العربي (العدد 314 - يناير 1985) ما يلي:

«... وتمس هناك اهم من انتاج نباتات تسمد نفسها بنفسها. وتستغني تماما عن الأسمدة التي تنتجها مصانعنا. ولن يتحقق ذلك الا اذا اشتملت لها مصانع سماد داخل أنسجتها. وما عليك الا ان تعدد الخطة المرسومة لصناعة السماد البيتروجيني (تحويل غاز النيتروجين الى املاح نيتروجينية غير عضوية)...

«... وفي بداية القرن الواحد والعشرين سوف يدرك العلماء

الحدود القائمة بين النباتات، أي لن تكون هناك نباتات مناطق صحراوية أو ملحية أو جليدية أو حارة أو ما شابه ذلك، بل يمكن زراعة أي محصول في أية بيئة، وذلك بتزويده بالجينات التي تؤهله للحياة في المناطق الحارة أو العكس».

(6) هل سيأتي اليوم الذي تسير فيه السفينة الفضائية بسرعة تساوي أو تقترب من سرعة الضوء ؟ التفكير العلمي متجه إلى اليوم الذي يكون فيه ممكنا إخضاع الدفع الضوئي من أجل التجوال بين الكواكب.

(7) الثقب الاسود Trou Noir أو Black Hole: أطلق هذا الاسم الفيزيائي الأمريكي ويلر. ويعتقد المختصون بوجود ثقب أسود كبير في قلب مجرتنا.

(8) ولدت الشمس منذ حوالي خمسة ملايير سنة. وستعيش حسب التقديرات العلمية حوالي خمسة ملايير سنة أخرى. يعتبرها الفلكيون نجما متواضعا، لأن حرارتها تقع في حدود 6.000 درجة مائوية، علما بأن نجوما أخرى تتجاوز حرارتها 40 الف درجة. حجم الشمس يكبر الأرض بمليون و 300 الف مرة. أقرب نجم الى الشمس هو (القنطوري) ويبعد عنها بحوالي 4.5 سنوات ضوئية.

(9) باكس Pax(وتعني السلام) : اسم أطلقه المؤلف على أقرب حضارة كوكبية من الأرض، ضمن الخريطة الكونية.

(10) الصفر المطلق : أي 273 درجة مائوية تحت الصفر. إنها أبرد درجة معروفة، اذ تتوقف عندها حركة الذرة. وعلم الكريوجينيات Cryogenics هو الذي يهتم بتجميد الجسم

البشري الى درجة الصفر المطلق، بأمل إعادته للحياة في زمن آخر.

فهرس

تقديم للأستاذ علال الغازي.....5
مدخل بقلم المؤلف.....9
ضيوف على الارض.....17
رياض الرمال.....25
لا خوف على اللقمة.....31
قرصنة السحب.....39
بطيخ على متن الضوء.....47
إلى رصيف المشاة.....53
الفستان الاليكتروني.....61
وليد مشترك.....69
مزرعة الأعضاء.....75
نادي السوبرمان.....83
عندما يعشق الروبوت.....93
عصفور الاشواق.....99
البرمائية الطائرة.....105
الانسان الطائر.....113
البكتيريا في خدمة النظافة.....121
القمر يرحب بكم.....129
من أجل ثقب أسود.....135
تصدير الحضارة.....141
ملحق.....149

الايداع القانوني رقم : 153 ـ 1985

... واستخلصنا أن
التاريخ بريء .. لأن الإنسان
بريء .. وكلنا أبرياء .. إذ في كل منا
بذرة خير واحدة على الأقل .. فتسامحنا ..
وطوينا الماضي الشرس .. وصار هدفنا أن
ننظر إلى فوق .. إلى السماء .. ففيها كل
ما نجهل .. منها نستقي مايثير الفكر .. وسيساعد
الأدوات الحضارية على تعميق معرفتنا بالكون .. وعبر
السماء نتعرف أكثر على من نكون .. وأين نحن ؟
ولماذا ؟ لقد تعلمنا أن السماء هاضنة
أحلامنا الجميلة .. السماء
مستقبل الانسان ..

الثمن
15
درهم